الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ العام

الحياة الإقتصادية للدولة الرستمية

160هـ-296هـ/776م- 908م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس LMD في التاريخ العام.

إعداد الطلبة:

- ✓ حمامدة يمينة
- ✓ خشانة وهيبة
- ✓ خشانه هاجرة
- ✓ رشدان حياة
- ✓ سواكر معاذ
- ✓ عبد الجواد فوزية
- ✓ عوادي بحرية
- ✓ لعويد ريمة
- ✓ لكلوكة سمية

إشراف الأستاذ:

عمار غرايسة

لجنة القراءة والمناقشة:

- .....
- .....
- .....

الموسم الجامعي: 1434-1435 هـ / 2013-2014م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ العام

الحياة الإقتصادية للدولة الرستمية

160هـ-296هـ/776م- 908م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس LMD في التاريخ العام.

إعداد الطلبة:

- ✓ حمامدة يمينة
- ✓ خشانة وهيبة
- ✓ خشانه هاجرة
- ✓ رشدان حياة
- ✓ سواكر معاذ
- ✓ عبد الجواد فوزية
- ✓ عوادي بحرية
- ✓ لعويد ريمة
- ✓ لكلوكة سمية

إشراف الأستاذ:

عمار غرايسة

لجنة القراءة والمناقشة:

- .....
- .....
- .....

الموسم الجامعي: 1434-1435 هـ / 2013-2014م.

سورة التوبة الآية: 105.

شكر وعرفان

قبل أن تعانق الفرحى عنان السماء ملوحة بفرحة النجاح، وقبل أن يحط طالب المنى رحال رحلته التعليمية والبدء في مرحلة جديدة يجب أن نشكر من له الحمد في الأولى والآخرة الله ـ عز وجل ـ القائل: ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ إبراهيم الآية 7.

فيا رب إجعلنا من الشاكرين

ثم نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل: عمار غرايسة على تشريفنا بقبول الإشراف على مذكرتنا وعلى ما تحلى به من صبر وأناة في توجيهنا وإرشادنا، فجزاه الله أحسن الجزاء.

كما نتقدم بالشكر الوافر إلى أستاذتنا الكرام على ما قدموه لنا من ملاحظات وإرشادات في تقويم هذا البحث وخاصة الأستاذ عبد العزيز حسونة من أجل أن يصل إلى أفضل صورة، ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل زملائنا في قسم التاريخ، دفعة جوان 2014م

المختصرات

تح: تحقيق

تر: ترجمة

ج: جزء

د ج: دون جزء

د د: دون دار نشر

د س: دون سنة

د ط: دون طبعة

د م: دون مكان نشر

ص: صفحة

ط: طبعة

مقدمة

إن الحديث عن المغرب الإسلامي وتاريخه يحمل في طياته الكثير من معاني الفخر والاعتزاز لأمجاد أولائك المسلمين الذين استقروا ببلاد المغرب حيث واجه المسلمون في فترات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب صعوبات كثيرة حيث استغرق هذا الحكم قرابة سبعون عاما وذلك بسبب قوة البربر العسكرية والظروف الطبيعية، كما كانت بلاد المغرب ملاذا لتأسيس العديد من الفرق الاسلامية دولا تمثلهم خاصة خلال القرن الثاني والثالث هجري التي ظهرت به عدة دول مستقلة كالدولة الرستمية التي ظهرت نتيجة الجهود المضنية التي قام بها الخوارج الاباضية حيث تميزت بازدهارها في جميع الميادين خاصة في المجال الاقتصادي الذي يعد الركيزة الهامة في أي دولة حيث أثر على الجانب الاجتماعي، ويعد هذا الأخير الموضوع الذي سنعالجه في مذكرتنا هاته والتي تعالج الحياة الاقتصادية للدولة الرستمية خلال (160هـ-296هـ/776م- 908م).

دواعي اختيار الموضوع

وقد كان من بين الدواعي التي حفزتنا لاختيار هذا الموضوع لإبراز مدى أهمية الدراسة الاقتصادية للدولة الرستمية، والتي برع فيها الرستميين وبه تجلي ابداعهم ونشاطهم وكانوا به في موقف العطاء والبذل والمشاركة في بناء الاقتصاد لهذا كله فقد تعلقت فينا الرغبة ورسخ الميل في النفس نحو دراسة هذا الموضوع وهو الحياة الاقتصادية لهاته الدولة.

ولعل أبرز حافز لدراسة هذا الموضوع هو اظهار مدى تأثير الجانب الاقتصادي والذي يُعتبر المؤشر المهم لأي دولة من الدول لذلك كانت دراستنا أمر مهم لأنها تعبر عن اقتصاد المجتمع والذي قامت به الدولة الرستمية، والذي أثر بشكل كبير على الجوانب الأخرى.

أما الحافز الأخير فيشمل في تشجيع الاستاذ المشرف في دراسة هذا الموضوع كون أن الاقتصاد لعب دورا هاما في تطور الدولة الرستمية بعد قيامها.

طرح الاشكال:

إن الواقع المشار إليه في توطئة الموضوع يطرح أمامنا بلا شك التساؤل المشروع عن حقيقة الواقع الاقتصادي للدولة الرستمية باعتبارها كيانًا مغاربيًا وأهم ملامح الحياة التي ميزت هذا الكيان وكيف كان لذلك تأثيره على نشأته ومدى اسهامه في تطوير الاقتصاد الرستمي.

فيما تمثل واقع الحياة الاقتصادية للدولة الرستمية؟ وكيف ساهمت نشأتها في تطور اقتصادها؟

وتندرج تحتها تساؤلات فرعية أهمها:

1- ما الظروف المحيطة بقيام الدولة الرستمية وأشهر أئمتها؟
2- ما أثر الحياة الإقتصادية على الواقع الإجتماعي للسكان؟

وما طبيعة التغيرات التي أحدثها الاقتصاد على الجانب الاجتماعي؟

المنهج المتبع:

إن المنهج الذي اتبعناه في هذا العمل هو وصفي تاريخي من خلال سرد الاحداث التاريخية ووصف الحياة الاقتصادية وأثرها على الجانب الاجتماعي.

تقسيمات الموضوع:

ولمعالجة الموضوع اعتمدنا على خطة، ابتدأنا فيها بمدخل ممهدا للموضوع وتطرقنا فيه إلى المذهب الإباضي، وقسمنا الموضوع إلى فصلين: بحيث تناولنا في الفصل الأول إلى بناء العاصمة، والمؤسس والأئمة الرستميين، وقمنا بتحديد الموقع الجغرافي وكذا العلاقات الخارجية للدولة وأسباب سقوطها.

وتحدثنا في الفصل الثاني عن الحياة الاقتصادية للدولة الرستمية باعتبارها دولة اقتصادية بالدرجة الأولى خاصة في المجال التجاري وادرجنا فيه أربعة عناصر: كان العنصر الأول على الزراعة وذكرنا فيه أهم المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية أما العنصر الثاني فقد خصص للصناعة وتعرفنا فيه عن أهم الحرف أما الأخير والذي عالجنا فيه أهم المسالك التجارية التي ربطت الدولة الرستمية بمختلف الأقطار وكذا السلع التي كانت تصدر وتستورد وكيفية التعامل التجاري بها وتعرضنا إلى المكاييل والموازين والمقاييس، والعملة المتعامل بها وتطرقنا كذلك إلى الموارد المالية وبيوت الاموال ودار الزكاة أما العنصر الأخير تعرضنا إلى الأثر الاقتصادي على الوضع الاجتماعي ويتضمن الحسبة والمستوى المعيشي.

اهم المصادر والمراجع:

ولإثراء هذا الموضوع اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع كانت في مقدمتها المصادر التاريخية والمصادر الجغرافية. ولعل من أهم هذه المصادر كتاب صورة الأرض لابن حوقل، وكتاب المسالك والممالك للإصطخري وكتاب معجم البلدان اليعقوبي، وكتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيدة البكري، وكتاب البيان المغرب غي أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي وكتاب طبقات المشايخ بالمغرب لدرجيني أبي العباس. وكتاب سير الأئمة وأخبارهم لابن الصغير. وإلى جانب هذه المصادر الأساسية هناك مراجع وهي كثيرة من أهمها: كتاب الدولة الرستمية من 160هـ- 909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية لإبراهيم بكير بحاز وكتاب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب خلال القرنين الثالث والرابع هجري لجودت عبد الكريم يوسف.

الدراسات السابقة:

أما الجديد في هذه الدراسة فلا يكمن في طرح الموضوع في حد ذاته فقد سبقتنا دراسة خاصة تناولت الدولة الرستمية (160- 296هـ) بمختلف جوانبها وهذا حسب ما توصلنا إليه، غير أننا ركزنا في دراسة موضوعنا هذا على الجانب الاقتصادي للدولة خلال هاته الفترة الزمنية، زيادة على ما في طيات الموضوع من أراء واستنتاجات.

الصعوبات:

ولقد واجهتنا في إنجاز هذا العرض العديد من الصعوبات: منها صعوبة الحصول على مراجع ورقية فجلّها كان إلكترونيا مع صعوبة التوفيق بين إنجاز هذا العرض وبقية الأعمال الأخرى نظرا لتزامنها في وقت واحد. مع قلة المصادر التي تختص في الجانب الاقتصادي.

ونسأل من الله مولانا أن يوفقنا في إنجاز هذا العمل بعد تجاوزنا الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز هذه المذكرة وذلك بمساعدة الاستاذ المشرف عمار غرايسة الذي اقترح علينا موضوع مذكرتنا، نسأل الله أن يجعله في ميزان حسناته ويجزيه عنا كل الخير وأسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وان ينتفع بها القارئ أنه سميع مجيب.

الفصل التمهيدي:
المذهب الإباضي

المذهب الإباضي:

إن نشأة المذهب الإباضي تعود بالدرجة الأولى إلى العامل الديني والسياسي الذي تمثل في مبايعة عبد الله بن وهب الراسبي[1]،[2] حيث انقسم المسلمون إثر معركة صفين[3] إلى ثلاث كتل: كتلة علي بن أبي طالب 35-40هـ، كتلة معاوية بن أبي سفيان 40-60هـ، وكتلة المحكمة هي التي رفضت التحكيم[4] وخرجوا عن صف علي وفارقوا صفوف أنصاره معلنين العصيان، ثم دعوا الناس إلى خلعه هو ومعاوية، فاعتبرهم أهل السنة بسبب ذلك خارجين عن الصف وأسموهم الخوارج،[5] حيث واجهت الدولة الأموية ثورات هنا وهناك قام بها الخوارج وبمرور الوقت ظهرت اختلافات أساسية لأفكار متداولة في أوساطها حيث توالدت فرقهم وانشقت صفوفهم وانبثقت منهم فرق جديدة،[6] وبذلك انقسم

---

[1] – **عبد الله بن وهب الراسبي** ولد بعمان من قبيلة الأزدي. للمزيد ينظر: إلى محمد بن موسى بابا عمي وإبراهيم بن بكير بحاز: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر، مر: محمد صالح ناصر، جمعية التراث، الجزائر ، د ط، 2008م، ج2، ص 77.

وهو أول من بويع بالخوارج بالإمامة وكان ذلك في منزل زيد بن حصين. للمزيد ينظر: إلى ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407، ج1، ص 170. وينظر: إلى محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، مؤسسة توالت الثقافية، د م، د ط، د س، د ج، ص14.

[2]– بكير بن سعيد أعوشت: **دراسات إسلامية في الأصول الإباضية**، مكتبة وهبة، القاهرة، د ط، 1988م، د ج، ص14.

[3] – **صفين:** هو موضع بقرب الدق على شاطئ الفرات بين الجهة الغربية بين الدقة وبالس، للمزيد ينظر: إلى ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الرومي البغدادي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ط1، د س، د ج، ص402.

[4] – محمد بن عميرة: **دور زناتة في الحركة المذهبية في المغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م، د ج، ص47.

[5] – بوزياني الدراجي: **دور الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس**، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، 2007م، د ج، ص29.

[6] – الشهرستاني أبي الفتح محمد بن أبي بكر أحمد: **الملل والنحل**، تح: محمد بن عبد الله الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، 2005م، د ج، ص92.

الخوارج إلى متطرفين ومعتدلين فكان في الجانب الأول الأزارقة، النجدات والثاني الإباضية والصفرية.[1]

إن الإباضية لا يجمعهم بالخوارج سوى إنكار التحكيم،[2] حيث كانوا ينسبون أنفسهم للفكرة لا للزعيم،[3] وبذلك لم يفلح زعماء الخوارج في استدراج عبد الله بن أباض للخروج معهم[4] باتخاذهم موقفا يختلف عن موقفهم[5] وبهذا الانفصال عن متطرفي الخوارج بدأت الفترة الأولى من الإباضية، وذلك عام 65هـ/684م،[6] وسميت بالإباضية نسبة إلى عبد الله بن أباض الذي تعتبره المصادر الغير الإباضية المؤسس للمذهب الإباضي، أما العلماء الإباضيون فينسبون إلى عبد الله بن أباض دورا ثانويا، بالمقارنة مع جابر بن زيد.[7]

[1] – إبراهيم بن بكير بحاز: **الدولة الرستمية من 160هـ – 909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، جمعية التراث، القرارة، ط1، 1985م، د ج، ص74.

[2] – بكير بن سعيد أعوشت: **وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا، اجتماعيا، تاريخيا**، المطبعة العربية، د م، د ط، 1991م، د ج، ص50.

[3] – مجموعة من المؤلفين: **معجم مصطلحات الإباضية**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، ط1، 2008م، ج2، ص65.

[4] – عبد الرحمان عثمان حجازي: **تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي من القرن الأول حتى القرن العاشر هجري 95هـ/1520م**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001م، د ج، ص06.

[5] – أبو زكريا يحي بن أبي بكر: **سيرة الأئمة وأخبارهم**، تح: إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، د ط، 1979، د ج، ص03.

[6] – عبد الرحمان عثمان حجازي: المرجع السابق، ص06.

[7] – عوض خليفات: **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية**، وزارة التراث القومي والثقافة، الأردن، ط 3، 1994م، د ج، ص 09.

ظهر المذهب الإباضي في القرن الأول هجري في البصرة، وجاءت التسمية من طرف الأمويين،[1] والإباضية[2] هي فرق ذات أقلية مبعثرة في بعض بلاد المسلمين، كعمان، وشمال إفريقيا وزنجبار، كما أنها أقل خطرا وشرا من الفرق الأخرى،[3] بدأ المذهب الإباضي يحرر آراءه وعقائده في أواخر النصف الأول من القرن الأول هجري، ولم يتم النصف الثاني من القرن حتى كانت الأصول التي تميزه عن غيره من الفرق والمذاهب، قد تقررت في البصرة التي كانت من مراكز الإشعاع الإسلامي.[4]

والإباضية مذهب إسلامي أصيل تصدر المذهب الإسلامية في نشأته،[5] وكان ذلك علي يد الإمام التابعي جابر بن زيد الأزدي الملقب بأبي الشعثاء[6] 93هـ -711م،[7] ولكنه نسب إلى عبد الله بن أباض التميمي،[8] أحد رجالهم المشهورين الذي خرج في أيام مروان

---

[1] – بكير بن سعيد أعوشت: **دراسات إسلامية في الأصول الإباضية**، المرجع السابق، ص15.

[2] – **الإباضية:** نسبة إلى عبد الله بن أُباض، وذلك بضم الهمزة، وهي قرية بعرض اليمامة، نزل بها نجدة بن عامر. وللمزيد ينظر: عبد الرحمان حجازي، المرجع السابق، ص06. وللمزيد ينظر أيضا: الحميري محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في خير الأقطار**، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975م، د ج، ص42.

[3] – علي يحي معمر: **الإباضية في الفرق الإسلامية**، وزارة التراث القومي والثقافي، عمان، د ط، د س، د ج، ص221.

[4] – علي يحي معمر: **الإباضية في ليبيا**، الإباضية في موكب التاريخ، د م، د ط، د س، د ج، ص27.

[5]– محمد بن موسى بابا عمي وإبراهيم بن بكير بحاز، المرجع السابق، ص 17.

[6] – **جابر بن زيد الأزدي:** وهو من قبيلة اليعمد الأزدية في عمان، أما السنة التي ولد فيها محصورة بين 17 و18هـ وجاء للبصرة في وقت مبكر، وللمزيد ينظر أيضا: عوض خليفات: المرجع السابق، ص16. وينظر أيضا: محمد بن موسى بابا عمي وإبراهيم بن بكير بحاز، المصدر السابق، ص35.

[7] – بيير كوبرلي: **مدخل لدراسة الإباضية وعقيدتها**، تر: عمار جلاصي، منشورات مؤسسة توالت الثقافية، د م، د ط، د س، د ج، ص27.

[8] – **عبد الله بن أباض الهزي التميمي:** أحد الرجال المشهورين سماهم بذلك بعد ولاة الدولة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان. وللمزيد ينظر إلى: علي يحي معمر: **الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم**، المطبعة العربية، غرداية، د ط، 1985م، د ج، ص34.

بن محمد.[1] أما الإباضية فقد كانوا يسمون أنفسهم أهل الدعوة، ولم يعرفوا بالإباضية إلا بعد موت جابر بزمان.[2]

فمؤسسي هذا المذهب كانوا كلهم عرب من اليمن وهم: عبد الله بن تميم الهزى أبو الشعثاء، أبو عبيدة مسلم، وسلمة بن سعد وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، وهذا الأخير المؤسس الفعلي للدولة الإباضية،[3] وقد حرص أتباع زيد وتلاميذه على تمكين مذهبهم ونشره في الأفاق شرقا وغربا، لكنهم كانوا محافظين على قوة رابطتهم بأستاذهم في العراق.[4]

مرت الإباضية بمراحل أهمها: مرحلة التأسيس في القرن الأول وبداية الثاني وتشمل مرحلة البصرة وانتشاره في المشرق والمغرب، مرحلة إقامة الإمامات: في القرن الثاني هجري في كل من اليمن وعمان وبلاد المغرب، ومرحلة الأزمات والمواجهات: التي حاولت إزالة الدولة الإباضية كالفاطميين والعباسيين، مرحلة التجمعات في بلاد المغرب،[5] بقيت الإباضية في أفخان وبطون من قبائل لماية ولواتة وزجالة ونفزاوة ومزاتة،[6] وغيرها من القبائل، ولم يتحد الإباضيون من هذه القبائل تحت إمرة واحدة بل كان منهم

[1] – الشهرستاني أبي الفتح محمد بن أبي بكر أحمد: المصدر السابق، ص107.

[2] – علي يحي معمر: المرجع السابق، ص35.

[3] – محمد حسين العيدروس: **المغرب في العصر الإسلامي**، دار الكتاب الحديث، د م، ط1، 2009م، د ج، ص69.

[4] – موسى لقبال: **المغرب الإسلامي منذ بناء المعسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج**، الشركة الوطنية، الجزائر، ط2، 1981م، د ج، ص165.

[5] – مجموعة من الباحثين: المرجع السابق، ص ص05، 06.

[6] – ابن خلدون محمد بن عبد الرحمان: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1961م، ج6، ص146.

الخاضعون للأغالبة والأدارسة، من إمارتهم إمارة بني رستم بتيهرت وإمارة بني دمر وإمارة بني مسرة.[1]

انقطع عبد الحميد بن مغطير عن الفتوى، وحجته في ذلك أن حملة العلم هم أولى بالفتوى[2] وكرس حياته بعد ذلك لتوجيه البعثات العلمية إلى الشرق،[3] واستطاعوا نشر مذهبهم في مدة زمنية قصيرة،[4] وتمت مبايعة أبا الخطاب[5] إماما وأعلن قيام الدولة الإباضية في محرم سنة 140هـ/757م في موضع يعرف بصياد[6] غربي طرابلس وتمكن الإباضية بعد مبايعة أبي الخطاب، من الاستلاء على طرابلس واتخذوها مقرا لهم، واختاروا أبا الخطاب عبد الرحمان بن رستم قاضيا بطرابلس.[7] ولما ملك عبد الأعلى مدينة طرابلس بعث عبد الملك بن أبي الجعد العساكر لقتاله سنة41هـ/661م لقيهم أبا الخطاب وهزمهم واتخن فيهم.[8] وقتل عبد الملك بن أبي الجعد.[9] واتبعهم إلى القيروان فملكها وأخرج ورفجومة منها واستخلف عبد الرحمان بن رستم عليها، وسار إلى طرابلس للقاء العساكر القادمة من ناحية أبي جعفر،[10] وذلك لصد الهجومات العباسية القادمة من

---

[1] – الميلي المبارك بن محمد: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، 2007م، ج2، ص ص531، 532.

[2] – مسعود مزهودي: **جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط**، مكتبة الظامري، عمان، د ط، 2010م، د ج، ص ص52، 53.

[3] – لقبال: المرجع السابق، ص165.

[4] – مزهودي: المرجع السابق، ص ص52، 53.

[5] - **أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري:** إمام ورئيس سياسي رتب بدوره شؤون الطائفة الإباضية وأقام نظام سياسي في طرابلس وحكم من140هـ/144هـ. وللمزيد ينظر إلى: معجم مصطلحات الإباضية: مصدر سابق، ص659. وينظر أيضا: موسى لقبال: المرجع السابق، ص166.

[6] – **صياد:** مكان يقع غربي مدينة طرابلس وهو المكان الذي يعتاد أن يجتمعوا فيه للتشاور وهناك قرروا إسناد الإمامة إلى أبي الخطاب الذي أظهر براعة سياسية كبرى . وللمزيد ينظر لـ: محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص196.

[7] – عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط، د س، د ج، ص450.

[8] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص244.

[9] – محمود السيد: **تاريخ دول المغرب العربي ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريطانيا**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط، 2004م، د ج، ص31.

[10] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص244.

الشرق،[1] وذلك عندما استولت ورفجومة على القيروان وسائر إفريقية،[2] وفد جماعة من رجالات العرب على الخليفة المنصور واستنجدوا به عليها فوجه محمد بن الأشعث الخزاعي واليا على مصر، وأمره بإنقاذ إفريقية فواجه ابن الأشعث أبا الأحوص عمر بن الأحوص العجلي سنة 142هـ/759م، وسار إليه أبا الخطاب فالتقى بمغدامس من أرض سرت فانهزم أبا الأحوص ورجع إلى مصر وانصرف أبا الخطاب إلى طرابلس.[3] تمكن العباسيون من محاربة الدعوة الإباضية، وقتل أبا الخطاب المعافري في عام 144هـ/761م في معركة تاورغا من أرض سرت بطرابلس.[4] أما الصفرية فقد اتجهوا إلى المغرب الأقصى[5] حيث استقروا هناك واختطوا مدينة سجلماسة التي أصبحت مقرا لهم. وهناك هزم ابن الأشعث من طرف الزناتيين، وبدخوله طرابلس أحس عبد الرحمان بن رستم أن ميزان القوى ليس بجانبه، حيث انسحب إلى القيروان غربا وتركزت تجمعات الإباضية في زولا وجبل نفوسة ومنطقة تيهرت، أي المغرب الأوسط[6] وأسس الدولة الرستمية هو وأولاده باستمرارها لما يزيد عن القرن 135عام.[7]

---

[1] – محمد بن عميرة: المرجع السابق، ص100.

[2] – ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص46.

[3] – بن عميرة: المرجع السابق، ص100.

[4] – محمود السيد: المرجع السابق، ص32.

[5] – **المغرب الأقصى:** عاصمته ترددت بين فاس ومراكش. للمزيد ينظر: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة النهضة للشرق، القاهرة، د ط، د س، د ج، ص12.

[6] – **المغرب الأوسط:** يشمل بلاد الجزائر ويمتد من تيهرت حتى جبال ملوية وجبال تازا غربا وقاعدته تلمسان. وللمزيد ينظر إلى: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي. المرجع السابق، ص12.

[7] – محمود السيد: المرجع السابق، ص33.

إن السياسة التي جرى عليها خلفاء بني أمية، قد جعلتهم في نظر الكثير منحرفين عن تعاليم الإسلام ومبادئه، وبظهور الإباضية بإمامة أبو الشعثاء الذي ينادي بالقضاء على بدعة الملك الذي اصطنعه الأمويون، لذلك حاربه بنو أمية ونفاه إلى عمان ثم عاد إلى البصرة لاستكمال رسالته إلى أن توفي سنة93 هـ/712م[1] وخلفه أبو عبيدة مسلم،[2] حيث أدرك هذا الأخير صعوبة الدعوة بالمذهب الإباضي في المشرق الإسلامي ورأى أن يذهب بدعوته إلى أطراف الدولة الإسلامية بالأخص بلاد المغرب[3] فاختار رجلا من تلاميذه وهو سلمة بن سعد[4] بعثه إلى المغرب لنشر الدعوة الإباضية وبوفود سلمة بن سعد أول القرن الثاني هجري إلى سرت، انتشر المذهب الإباضي، ومنذ ذلك العهد بدأ دعاة الإباضية يتوافدون على المغرب لنشر الدعوة، وكان المغرب يغلي سخطا على ولاة الأمويين والعباسيين ومظالمهم، وكان البربر مقبلين على الإباضية سريعا.[5] فقام سلمة بنشاط كبير بين قبيلتي هوارة ونفوسة، وتأكد بأن ما يحلم به أستاذه يمكن تحقيقه في المغرب.[6] قدم عدد من البربر إلى البصرة سنة140هـ/757م، للتعلم على يد رئيس مشايخ من الإباضية أبو عبيدة التميمي ومن بين هؤلاء الأشخاص الذين رجعوا إلى طرابلس لتدريس العقيدة الإباضية نجد: ابن مغطير، عاصم السدراتي، أبو داوود القبلي، إسماعيل الغدامسي وعبد الرحمان بن رستم[7] عادوا حاملين لقب حملة العلم إلى المغرب ويشاركهم في هذا اللقب الشريف أبو الخطاب الذي تولى الإمامة[8] بطرابلس وجبل

---

[1] – عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص447.

[2] – **أبو عبيدة مسلم التميمي بن أبي مسلم بن أبي كريمة:** أخذ العلم عن جابر وغيره، وقد درس عبد الرحمان بن رستم وسانده ليكون أول إمام للدولة الإباضية. للمزيد ينظر: محمد حسن العيدروس: المرجع السابق، ص71.

[3] – **المغرب** يشمل كل ما يلي: مصر غربا من المحيط الأطلسي تتوسطه إفريقية ويقسم إلى ثلاث حسب قربها أو بعدها عن مركز الخلافة بالمشرق. وللمزيد ينظر: عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص12.

[4] – **سلمة بن سعد الحضرمي** أول من نقل مبادئ الإباضية، فهو أول الدعاة وقد انتقل من المشرق مغامرا. للمزيد ينظر: علي يحي معمر: **الإباضية في ليبيا**، ج1، المرجع السابق، ص ص29، 30.

[5] – عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص449.

[6] – أحمد إلياس حسين: **الإباضية في المغرب العربي**، شبكة الدرة الإسلامية، د ط، د س، د ج، ص08.

[7] – تادايوش ليفيتسكي: **دراسات شمال إفريقيا**، د ط، د س، ج 2، ص33.

[8] – أبو الربيع سليمان الباروني: **مختصر تاريخ الإباضية**، د ط، د س، د ج ، ص19.

نفوسة،[1] وتولى إمامتهم في مسلك الكتمان[2] الإمام أبو عبيدة مسلم في ظلال مركز الإشعاع بالبصرة وكونوا ما يعرف بحملة العلم إلى المشرق. ومنهم الربيع بن حبيب ومنصور الرياصي.[3] اتجه عبد الرحمان بن رستم إلى البصرة مع رفقائه الأربعة وعند وصولهم رحب بهم وظلوا يتعلمون عدة سنوات،[4] وعادوا إلى المغرب وهم يشتعلون حماسة لإنشاء دولة إباضية.[5]وعندما وصلوا إلى طرابلس ساهموا في تنشيط الدعوة...[6]

[1] – حسن إبراهيم حسن: **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، مكتبة النهضة المصرية، د م، ط1، 1963م د ج، ص09.

[2] – **الكتمان** ليس جمودا ثقافيا ولا حركيا بل نقول أن النضج الفكري غير متكامل... وبفضل الكتمان نشأ الفكر الإباضي ونما وتكامل... للمزيد ينظر: فرحات الجعبيري: **دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية**، دار جوني للنشر، تونس، د ط، 1989م، د ج، ص56.

[3]– نفسه، ص56.

[4] – مسعود مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال لبلاد المغرب 442هـ/1053م**، مؤسسة توالت الثقافية، د م، د ط، 2003م، د ج، ص53.

[5]– محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص14.

[6] – مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص52.

الفصل الأول: نشأة وتطور الدولة الرستمية

1- **بناء العاصمة تيهرت.**

2- **مؤسس الدولة الرستمية: عبد الرحمان بن رستم.**

3- **أئمة الدولة الرستمية:**

أ- عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم.

ب- أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم.

ت- أبو بكر أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم.

4- **جغرافية الدولة الرستمية.**

5- **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية.**

أ- علاقة الدولة الرستمية بالأندلس.

ب- علاقة الدولة الرستمية بسجلماسة.

ت- علاقة الدولة الرستمية بالأغالبة.

6- **سقوط الدولة الرستمية.**

1. بناء العاصمة تيهرت:

لما كان عبد الرحمان بقابس بلغه وفاة أبي الخطاب فتفرق عنه جيشه وثارت قابس بعاملها، فر عبد الرحمان إلى القيروان فلقيها ثائرة عليه أيضا فحمل أهله وولده[1] واتجه إلى المغرب الأوسط بعد خروجه من القيروان لائذا بالقبائل الإباضية هناك.

وكانت رحلته هذه شاقة وعسيرة،[2] نزل عبد الرحمان بجبل سوفجج،[3] وذاع خبر نزوله بهذا الجبل فقصده ابن الأشعث بجيش عظيم ونزل بسفحه وخندق على معسكره وحاصر الجبل زمنا، فأقلع عن الحصار لما رأى مناعة الجبل واختلاف كلمة أصحابه بقي عبد الرحمان في الجبل.[4] فاجتمعت إليه الإباضية فعزموا على بناء مدينة تجمعهم[5] وتكون حصنا فأرسلوا الروافد في الأرض، فرجعوا.[6]

فاختار موضع تيهرت[7] الذي يمتاز بجودة الهواء وكثرة المياه وخصب الأراضي، وهو قابل للعمارة ومأمون من العدو، وأشجارا ملتفة كثيفة، ومرتعا لأنواع من السباع والوحوش،[8] بحيث اقتضت الضرورة إقتلاع ذلك كله، وتضيف الرواية نفسها كرامة أسطورية فتقول أنه: أمروا مناديا فنادى بأعلى صوته: يا من بها من الوحوش والسباع أن أخرجوا وارتحلوا فإننا نريد عمارتها ونزلوا بها ولكم أجل ثلاثة أيام.[9]

---

[1] – الميلي: المرجع السابق، ج2، ص63.

[2] – محمود إسماعيل عبد الرازق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري**، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1985م، د ج، ص46.

[3] – الميلي: المرجع السابق، ج2، ص64.

[4] – محمود إسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق، ص47.

[5] – ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج، س كولان، ليفي بروفسنال، دار الثقافة، بيروت، ط3،1983 م، ج1، ص197.

[6] – أبو زكريا: المصدر السابق، ص53.

[7] – **تيهرت الجديدة** وأما تيهرت القديمة فهي من الجديدة على خمسة أميال من جهة الشرق الجديدة، وكان صاحب تيهرت ميمون بن عبد الرحمان بن رستم بن بهران، وهو دواس. ينظر إلى: ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص270.

[8] – بحاز: المرجع السابق، ص86.

[9] – عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص154.

حرقت الغابة واستوت بالأرض،[1] فأنشأ عبد الرحمان بن رستم مدينة تيهرت سنة 144هـ/761م[2] على وادي مينة وفي سفح جبل جزول المطل على تلول منداس، وبناها على ضفة نهر غزير المياه وحصنها بأسوار وأنشأ فيها مسجدا جامعا وإقامة إمامة إباضية، أي جماعة إسلامية تحكم بناء على مبادئ إباضية من الأخوة والمساواة التامة بين أفراد الجماعة ورعاية حقوق الله والمؤمنين.[3] وجعلوا لأسوارها أربعة أبواب وهي: باب الصفا، باب المنازل، باب الأندلس، باب المطاحن. وأصبحت المدينة الجديدة في مأمن، وأطلق عليها معسكر عبد الرحمان.[4] وقد اهتموا أيضا ببناء القصور والبيوت والأسواق والحمامات والفنادق.[5]

ولقد أعجب بهذه المدينة جميع المؤرخين[6] ويصفها اليعقوبي بقوله: المدينة العظمى العظمى مدينة تيهرت جليلة القدر، عظيمة الأمر تسمى عراق المغرب.[7] ومن الأسباب التي دفعت عبد الرحمان وأصحابه إلى اختيار موضع تيهرت عاصمة لدولتهم:

- تقليد عبد الرحمان للمدراريين الخوارج الصفرية الذين بنوا عاصمتهم سجلماسة في جوف الصحراء،[8] وهي بعيدة عن خطر العباسيين.[9]
- مركز تيهرت التجاري إذ يربط تجارة الشمال بتجارة الجنوب.
- اختيار عبد الرحمان تيهرت لكي يستطيع أن يتحكم في القبائل الصحراوية البدوية بحيث لا يمكنها الهروب منه.

---

[1] – بحاز: المرجع السابق، ص86.

[2] – أحمد شلبي: **التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1963م، د ج، ص71.

[3] – حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة الأسرة، القاهرة، د ط، 2004م، د ج، ص117.

[4] – عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص154.

[5] – محمود إسماعيل عبد الرازق: المرجع السابق، ص49.

[6] – عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص154.

[7] – اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح: **معجم البلدان**، مطبعة ليدن، د ط، د س، د ج، ص76.

[8] – بحاز: المرجع السابق، ص88.

[9] – محمد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ/199هـ**، دار القلم، الكويت، ط3، 1987م، د ج، ص95.

واستمرت المدينة بعد ذلك في التطور والعمران، وقصدها الإباضية من المغرب الإسلامي كله حتى عام 160هـ/777م.[1]

وهكذا تأسست الدولة الرستمية[2] وأضحت تيهرت على أثر ذلك حاضرة إسلامية[3] في في قضائها عربية في معارفها بربرية في عصبيتها فارسية في إدارتها، وما جمع بين هذه الأجناس غير الرابطة الدينية.[4]

2. مؤسس الدولة الرستمية: عبد الرحمان ابن رستم.

عبد الرحمان ابن رستم:(160هـ-171هـ/777-788م)، ولد بالعراق في العقد الأول من القرن الثاني الهجري على أكبر تقدير ويرجع نسبه إلى الأكاسرة ملوك الفرس.[5] الفرس.[5]

وأجمعت المصادر على أنه من أصل فارسي، فالبكري يرتفع بنسبه إلى أصل ملكي، أي بأكاسرة الفرس الساسانيين، فجده هو براهم بن ذي شرار بن سابور بن بابا كان بن سابور ذي الأكتاف الملك الفارسي.

أما ابن خلدون فيجعل عبد الرحمان ابن رستم من أبناء رستم أمير جيش فارس في موقعه القادسية.[6]

---

[1] – بحاز: المرجع السابق، ص89.

[2] – المليلي: المرجع السابق، ص65.

[3] – محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص49.

[4]– المليلي: المرجع السابق، ص65.

[5] – محمد بن موسى بابا عمي، مصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ج2، ص608.

[6] –محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص75.

ويذكر أن أباه رستم قدم من العراق إلى مكة بصحبة زوجته وابنه عبد الرحمان لأداء فريضة الحج فمات، فتزوجت أمه برجل من القيروان، حملها وابنها عبد الرحمان معه عند عودته إلى بلده، وتربى عبد الرحمان ابن رستم بالقيروان ودرس على يد كبار علمائها ومال إلى تعليم الخوارج[1].[2]

ووقع تحت تأثير سلامة بن سعيد الذي يدعوا إلى مذهب الإباضية، ولما بلغ سن الشباب رحل إلى البصرة سنة135هـ-752م مع بعض إخوانه المغاربة وهم: عاصم السدراتي،[3] وأبو داوود القبلي، وإسماعيل بن دَرار الغدامسي،[4] وأبو الخطاب عبد الأعلى ابن السمح المغافري، حيث أخذ الفقه الإباضي وتشبع بمبادئه.[5]

واجتهد فيه على يد الشيخ الإباضي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة،[6] حتى صار أحد حملة المذهب الإباضي إلى إفريقية لأنشاء دولة على مذهبهم الإباضي، وتمت مبايعة أبي الخطاب بالإمامة، وتمكنت الإباضية من الاستلاء على طرابلس واتخذوها مقرا لهم واختار أبو الخطاب عبد الرحمان ابن رستم قاضيا بالقيروان، ثم شاركه في معركته ضد رجال ورفجومة الصفرية لتخليص القيروان وقد نجح سنة141هـ/758م من تحريرها من أيدي الصفرية المتطرفين الذين استباحوها، ثم عهد إلى عبد الرحمان ابن رستم بولايتها، وبقي فيها ابن رستم إلى أن قدم محمد ابن الأشعث بالقوات العباسية وعسكر بهم

---

[1]- **الخوارج:** عشرون فرقة والذي يجمع الخوارج على اختلاف مذهبها إكفار علي، عثمان والحكمين وأصحاب الجمل، وكل من رضي بتحكيم الحكمين. للمزيد ينظر إلى: البغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد: **الفرق بين الفرق وبين الفرقة الناجية منهم عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبائر أعلامهما**، تح: محمد عثمان لخشت: مكتبة ابن سيناء للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د س، د ج، ص72.

[2] – البكري أبو عبيدة عبد الله ابن عبد العزيز: **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، ديسلان للنشر، الجزائر، د ط، 1857م، د ج، ص67.

[3]– **عاصم السدراتي:** (141هـ/758م) من أئمة المغرب ومشاهير علمائه قيل أن أصله من قبيلة سدارته في جبل الأوراس بشمال الجزائر. للمزيد ينظر إلى: محمد بن موسى بابا عمي: المرجع السابق، ج2، ص239.

[4]– **إسماعيل بن دَرار الغدامسي أبو المنيب** 211هـ/826م، من طرابلس الغرب سافر إلى البصرة في البعثة التي أرسلها سلمة بن سعد وإلتحق بحلقة الإمام أبو عبيدة مسلم. للمزيد ينظر إلى: محمد بن موسى بابا عمي: المرجع السابق، ج2، ص55.

[5] – عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص452.

[6] – نهلة شهاب أحمد: **تاريخ المغرب العربي**، د ن، عمان، ط1، 2010م، د ج، ص204.

عند أرض سرت، وأمام هذه الكثرة الهائلة خرج إليه أبو الخطاب بجيش، حيث أحجم ابن الأشعث عن لقاء الإباضية تظاهرا بالانسحاب إلى مصر ثم هاجم معسكر ابن الخطاب فجأة في أول صفر144هـ/ 761م، فانهزمت فيها الإباضية وقتل أبو الخطاب، وكان عبد الرحمان يتأهب لنجدة أبي الخطاب، فسمع وهو بطريقه نبأ الهزيمة ومقتل أبي الخطاب، فعاد أدراجه ومضى إلى المغرب الأوسط بحيث لا يصل نفوذ العباسيين حيث يتركز أنصار الإباضية، وهذا ما مكنه من تأسيس الدولة الإباضية،[1] ألا وهي تيهرت التي نزل بها سنة161هـ/778م فأحدثها عبد الرحمان ابن رستم وبقي بها إلى غاية وفاته 168هـ/ 785م.[2]

واتسم نظام الحكم في مطلع هاته الدولة في عهد عبد الرحمان بالبساطة الشديدة فاتخذ حكم الدولة بنفسه لقب إمام، وأصبح رئيس الدولة مصدرا لجميع السلطات دينية كانت أم سياسية، ويظهر ذلك من خلال حوار البيعة الذي دار بين رؤساء الإباضية وشيوخهم وبين عبد الرحمان، وقد راعى رؤساء الإباضية وشيوخهم عندما اختاروا ابن رستم إماما للدولة كل القواعد التي فننت في المذهب الإباضي حول اختيار الرئيس وطبقوا شروط البيعة تطبيقا يكاد يكون حرفيا.[3] ويذكر ابن الصغير: «قد ظهر بالمغرب إمام ملأة الإباضية عدلا، وسوف يملك المشرق ويملأ عدلا»،[4] لكونه من حملة العلم، ولأنه لا قبيلة تمنعه إذا تغير عن طريق العدل وهذه القاعدة تعني تطور واضح في بناء الفكر السياسي للخوارج في بلاد المغرب فقد تطرق إلى مبدأ الانتخاب الذي اشتهرت به الخوارج، بعض المؤثرات كتسلل فكرة التعيين أو الوصية والتي أوصى بها عبد الرحمان، ألا وهي تعيين مجلس شورى لاختيار الإمام، فعقب وفاته أصبحت الإمامة وراثية من بعد في ابنه عبد الوهاب[5] مما يؤكد التغلب على النظام الديني في نظام الحكم وتحولت

[1] – لقبال: المرجع السابق، ص16.

[2] – ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص121.

[3] – محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص224.

[4]– إبن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين**، تح: محمد ناصر إبراهيم بحاز: دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ط، 1986م، د ج، ص32.

[5]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص224.

الإمامة الرستمية إلى التوريث والتعيين على مبدأ الشورى،[1] فلما أحسّ ابن رستم بدنوا أجله انتخب سبعة من الأعيان ثمّ عرضهم على الناس لاختيار خليفة لهم وبذلك يكون قد اتبع سنة عمر ابن الخطاب، وكان هؤلاء من أهل التقوى والصلاح وتبعا لقانون العصبية وطبيعة مفعولها في الأنظمة القبلية فإن الفرز الحقيقي اقتصر على شخصين وهما: ابن فندين اليفرني الزناتي وعبد الوهاب الذي اختارته معظم القبائل.[2]

واعتمد ابن رستم نظاما للدولة الرستمية للقضاء والشرطة وجباية الأموال والصدقات. وأنشأ الرستميون جهازا للشرطة يقوم بأعمال الحراسة والمحافظة على الأمن وفضلا عن ذلك اتخذوا الوزارات والكتاب والحراس ونظام السجلات والخاتم.[3]

أما عن سياسة عبد الرحمان الداخلية فتم اختياره بإجماع مشائخ القبائل فكانت سياسته الإدارية المالية تقوم على المساواة وعدم التعصب القبلي فكان متمسكا بتعاليم المذهب الإباضي، الأمر الذي هيأ لحكمه الثبات والاستقرار.[4] ولما أحس بدنوا أجله انتخب سبعة من الأعيان ثمّ عرضهم على الناس وهم: مسعود الأندلسي، أبو قدامه يزيد، بن فندين اليفرني وعمران بن مروان الأندلسي، أبو الموفق سعدوس بن عطية، وشكر بن صالح الكتامي، ومصعب بن سدمان، وعبد الوهاب ابن رستم، وبعد موته 171هـ/787م، اضطربت أحوال الدولة الرستمية، وعمتها الفتن والانشقاقات السياسية، وكذا الصراعات القبلية رغم وحدة النشأة والتفكير والمعتقد.[5]

---

[1] – عبد الكريم غلاب: **قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2005م، ج1، ص277.

[2] – محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص225.

[3] – نفسه، ص226.

[4] – محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص155.

[5] – الدرجيني أبي العباس: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي: مطبعة البعث، الجزائر، د ط، 1974م، د ج، ص46.

3. أئمة الدولة الرستمية:

أ- عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم (171هـ-208هـ/787م-823م):

عبد الوهاب بن عبد الرحمان: هو ثاني الأئمة الرستمية، تلقى العلم بالقيروان ثم بتيهرت على يد أبيه الرحمان وغيره،[1] نشأ في كنف والده عبد الرحمان بن رستم، فأخذ عنه حميد الخصال وجميل الأخلاق، وتعلم منه علوم الدين واللغة، وقد شهد فتح طرابلس بالقيروان، وحصار طبنة فأكتسب خبرة سياسية وعسكرية.[2]

ولما مات عبد الرحمان بن رستم، اجتمع أهل الشورى عن من يولونه أمور المسلمين،[3] وحصر الاختيار لأهل الشورى في سبعة من أهل الدراية والعلم، ومنهم مسعود الأندلسي وعبد الوهاب بن رستم وبقي الناس مترددين في اختيار واحد منهما،[4] وقد كانت الفترة التي أعقبت وفاة عبد الرحمان من أحرج الفترات التي مرت بها الدولة الرستمية، وذلك لأن الاجتماعات حول اختيار أحد الاثنين عبد الوهاب أو مسعود الأندلسي[5] دامت شهر "كاملا"، وقد مال العامة إلى تولية مسعود الأندلسي لأن مبدأ الإباضية يقتضي الالتزام بالشورى دون الوراثة وأن مسعود الأندلسي كان أعلم من عبد الوهاب لكن مسعود الأندلسي اختفى عن الأنظار لأنه زهد تولي هذا المنصب،[6] ولما أراد أراد الناس مبايعة عبد الوهاب، تقدم مسعود الأندلسي لمبايعته فعارضه يزيد بن فندين[7]

---

[1] – محمد بن موسى بابا عمي ومصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ج2، ص608.

[2] – جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م، د ج، ص63.

[3]– أبو زكريا: المصدر السابق، ص56.

[4]– عثمان الكعاك: **موجز التاريخ العام للجزائر بين العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي**، دار الغرب الإسلامي، د م، د ط، د س، د ج، ص129.

[5]– **مسعود الأندلسي 2هـ – 8م**، هو من النفر الستة الذين ترك الإمام عبد الرحمان ابن رستم الأمر شورى بينهم قبل وفاته سنة 171هـ/787م. للمزيد ينظر إلى إعلام الإباضية: المصدر السابق، ج2، ص414.

[6]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص109.

[7]– **يزيد بن فندين** من قبيلة يفرن تزعم حركة تمرد ضد الإمام عبد الوهاب ورشح نفسه للإمامة. للمزيد ينظر إلى: بكير بكير بن سعيد أعوشت: دراسات، المرجع السابق، ص167.

وأصحابه فقالوا «نبايعه بشرط أن لا يقضي أمرا دون جماعة معلومة» فأجابه مسعود الأندلسي قائلا: «لا نعلم في الإمامة شرطا غير أن يحكم فينا بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام»،[1] فترك يزيد الشرط،[2] ولم يتخلف عن بيعته أحد ولم ينقم أحد حكما ولا أمرًا.[3]

وتمت مبايعة العلماء لعبد الوهاب وحُمل إلى دار الإمامة، وتمت المبايعة في جميع تيهرت،[4] ومع بداية عهده اشتدت الاضطرابات بسبب مطالبة يزيد بن فندين عن الإمام عبد الوهاب بقبول تنحيته من الإمامة،[5] وذلك لأن عبد الوهاب عمد تولية المناصب لرجال ليس لهم رغبة في الولايات، فولاهم مناصب في الدولة،[6] ولما رأى يزيد بن فندين ما قام به عبد الوهاب بدأ بإثارة الفتنة في تيهرت وطعن في إمامته،[7] واجتمع مع من معه معه وأخذ بدعوته فأغاشو إلى ولايته وفعلوا الأفاعيل،[8] وأدى هذا إلى انقسام مذهب الإباضية إلى النكارية،[9] والوهبية،[10] ودُبرت مؤامرة لقتل عبد الوهاب، لكنها فشلت وقامت المعارك في المدينة وانتهت بانهزام فرقة النكارية وقتل يزيد بن فندين،[11] ومن بين الثورات الاخرى ثورة الواصلية، ويرجع سبب خروجهم عن الإمام هو الثأر لمقتل يزيد بن فندين

---

[1]– الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص47.

[2]– السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص446.

[3]– الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد: **السير**، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، د م، ط1، 2011، د ج، ص66.

[4]– عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص446.

[5]– عمار عمورة ونبيل دادودة: **الجزائر بوابة التاريخ (الجزائر عامة من ما قبل التاريخ إلى غاية 1962)**، دار المعرفة، الجزائر، د ط، دس، ج1، ص73.

[6]– أبو زكريا: المصدر السابق، ص56.

[7]– عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص446.

[8]– ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص185.

[9]– **النكارية:** هم أهم فرع نحل الإباضية الخارجية الذين لا يعترفون بالإمام عبد الوهاب. للمزيد ينظر إلى: تادايوش ليفيتسكي: المرجع السابق، ص50.

[10]– **الوهبية:** ترتبط بالإمام عبد الوهاب. للمزيد ينظر إلى تادايوش ليفيتسكي: المرجع السابق، ص99.

[11]– عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص447.

لأنه من بني يفرن وثورة مزاته وسدراته التي قام بها النكار وتم القضاء عليها،[1] وقد قام عبد الوهاب بحصار الأندلس والإقامة بجبل نفوسة سبعة أعوام يعلمهم مسائل الصلاة عند قيامه في الخروج إلى الحج وتم معارضته من قبل جموع نفوسة، خوفا عليه من أهل المسودة[2] وفي عهده الذي دام سبعة وثلاثين سنة عرف الرستميون قمة مجدهم الحضاري في الداخل والخارج حيث ارتقت عندهم التجارة والزراعة وزهت الحياة الثقافية[3] ونجح عبد الوهاب في توطيد الدولة الرستمية ووصل بها إلى أوج اتساعها وازدهارها وترك لخلفائه دولة قوية الدعائم متينة الأركان حتى وفاته.[4]

ب- أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم (208هـ- 258هـ/ 823م- 871م)

أفلح بن عبد الوهاب: ثالث الأئمة الرستميين، تلقى العلم بتيهرت عن أبيه عبد الوهاب وكان أكبر علماء زمانه، وكان شاعرا ودارسا لجميع العلوم،[5] بويع للإمامة في اليوم الذي توفي فيه والده وقد اشتهر بالعدل والشجاعة وقوة الساعد، وقد كان يأمر أعوانه باتباع سياسة اللطف والرفق واللين مع جميع القبائل،[6] وظهرت شجاعته من خلال مشاركته إلى جانب أبيه الإمام عبد الوهاب في المعارك حيث أبدى شجاعة كبيرة، وعين يوم المعركة نفسها وريثا للإمامة،[7] ولما توفي أبوه اجتمع أهل الشورى، وأجمعوا على مبايعته دون أي معارضة،[8] وكان أول شيء امتحن فيه الإمام أفلح بن عبد الوهاب أن

[1]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص ص119، 139.
[2]- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص665.
[3]- محمد موسى بابا عمي ومصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ص284.
[4]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص137.
[5]- محمد بن موسى بابا عمي ومصطفى بن صالح باجو: المرجع السابق، ج2، ص ص60، 61.
[6]- أبو زكريا: المصدر السابق، ص89.
[7]- تادايوش ليفنسكي: المرجع السابق، ص40.
[8]- عبد العزيز بن سالم: المرجع السابق، ص472.

قاضيا من قضاة أبيه مات فاجتمعت إليه الشراة وسألوه أن يولي القضاء من يستحق، فرد قائلا: « اجمعوا وقدموا خيركم ثم أعلموني به أخيره لكم».[1]

ولم يكن أفلح بن عبد الوهاب بعيدا عن الاضطرابات والحروب في تيهرت فخاض غمارها مع والده وشاركه في محاربته للنكارية والواصلية، فأكتسب خبرة عسكرية وقامت ضده قبائل المعارضة للقضاء على حكمه تعبيرا لاستنكارهم لحكم الرستميين،[2] ولكن استطاع بفضل دهائه وحنكته السياسية أن يقبض زمام الأمور ونجح في كسب الواصلية إلى جانبه،[3] وأصبح رئيس الإباضية وإمامهم وإمام الصفرية والواصلية وكان يسلم له بالخلافة.[4]

وفي عهده تم القضاء على الثورة التي قامت في نفوسة أيام والده عبد الوهاب وهي ثورة خلف بن السمح، كما ظهرت النفاثية[5] نسبة إلى نفاث بن نصر،[6] الذي طعن في إمامة أفلح ابن عبد الوهاب بزعمه أن الخطبة بدعة وغيرها من الأقاويل ولكنه سرعان ما رجع على نفسه واتجه إلى بغداد وأقام فيها.[7]

وقد اتبع أفلح بن عبد الوهاب سياسة اضعاف التحالف بين القبائل خوفا من جهود هذه القبائل، التي كانت تتمتع بالنفوذ والقوة،[8] وخوفا من أن تسعى هذه القبائل إلى إزالة البلاد وإقامة الفتن وإحداث الفوضى،[9] وفي عهده ازدهرت الدولة الرستمية وساد الهدوء

---

[1]– ابن الصغير: المصدر السابق: ص67.

[2]– جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص65.

[3]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص143.

[4]– ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص186.

[5]– **النفاثية** تنسب إلى فرقة فرج بن ناصر النفوسي وسميت بالنفاثية لأنه ينفث في الأسماع بدعته للمزيد ينظر إلى: مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص126.

[6]– محمد بن موسى بابا عمي ومصطفى بن صالح باجو، المرجع السابق، ج2، ص61.

[7]– الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص80.

[8]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص148.

[9]– عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص133.

وحفلت البلاد بأنواع التجارة، التي عادت عليهم بأرباح التي أنفقوها في البناء والعمران، وتنافسوا حتى بنو القصور والضياع خارج تيهرت وانتقل هذا الازدهار إلى جميع جهات الدولة واصبحت تيهرت مركز لأنواع الثقافات،[1] وقد عمر الإمام أفلح بن عبد الوهاب ما لم يعمره أحد من قبله، فأقام خمسين سنة أميرا حتى نشأ له البنون وبنو البنون،[2] وأقام رحمه الله بتيهرت سالمة أيامه من الشوائب متصف بجميل الخير، ورادع لكل ظالم،[3] لكنه لكنه أمضى بقية حياته كئيبا لما أصابه في ابنه أبي اليقظان الذي سجن في بغداد من طرف العباسيين إلى أن توفي سنة 240هـ- 854م.[4]

ج-أبي بكر بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم (523هـ-241هـ/ 844م- 855م)

وبعد وفاة الإمام أفلح بن عبد الوهاب تولى ولده أبي بكر الإمامة،[5] شهد أبي بكر تناقضات تيهرت بأنواعها في عهد والده، وقد اشتغل بالتجارة وجمع ثروة طائلة، أتاحت له أن يعيش حياة مترفة.[6]

وكان أبي بكر ضعيفا ليس له من الشدة في دينه ما كان لمن قبله عن أبائه حيث كان يميل إلى الخمول والكسل والراحة وانصرافه إلى حياة اللهو والترف،[7] ولكنه كان

[1]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص150.
[2]- ابن الصغير: المصدر السابق، ص53.
[3]- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 82...88.
[4]- عمار عمورة: المرجع السابق، ص ص 74، 75.
[5]- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص97.
[6]- جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص66.
[7]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص166.

سمحا جوادًا لين العريكة، يسامح أهل المرؤات ويشايعهم على مرؤاتهم ويحب الأدب والأشعار وأخبار الماضين.[1]

وتولى أبو بكر الإمامة لأن أبو اليقظان بن أفلح كان غائبا وقت وفاة أبيه وبويع له بالإمامة رغم قلة كفاءته،[2] وقد كان له فارس عن فرسان المدينة يعرف بمحمد ابن عرفة مشتهرا بالعفة والدهاء وحسن السيرة، فألقى مقاليد الأمور بيده فأحسن تدبيرها،[3] وكان لابن عرفة أخت فخطبها أبو بكر بن أفلح وتزوج بها،[4] وبهذه المصاهرة أصبح لابن عرفة نفوذ كبير، حتى أضحت الإمامة لأبي بكر بالاسم أما الإمام الحقيقي فهو محمد بن عرفة،[5] فترتب عن ذلك ضعف سلطة الإمام على القبائل، وأحدث ذلك انقسامات داخل هذه القبائل، وعند عودة أبي اليقظان من العراق وجد كل شيء كما هو ولم يتغير وانصرف أبي بكر إلى شهواته وترك لأخيه تسيير أمور الدولة.[6]

وكان بين أبي اليقضان وبن عرفة صهر الإمام أبي بكر عداوة فحرض أبي اليقضان، وجميع إخوانه وأعمامه أبي بكر ضد محمد بن عرفة[7] وذلك لأن ابن عرفة كانت له مهمة الاتصال بالرعية والنظر في قضاياهم، وكانت شخصيته لطيفة يحسن للناس ويسعى لحل مشاكلهم، وأصبح لديه أشياع يمجدونه،[8] وقد أعلم أبي اليقضان أبي بكر بهذا وشاهد هذا الأخير لما وصل له ابن عرفة عند العامة والذين كانوا يجتمعون له

---

[1]– ابن الصغير: المصدر السابق، ص71.

[2]– عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص473.

[3]– عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص134.

[4]– ابن الصغير: المصدر السابق، ص72.

[5]– مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص189.

[6]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص157.

[7]– عمار عمورة ونبيل دادودة: المرجع السابق، ص75.

[8]– عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص474.

من كل جانب فهاله ما رأى،[1] وما وصل إليه ابن عرفة وأغروا صهره بقتله،[2] فأقنع أبي بكر صهره ابن عرفة بالذهاب سويا إلى موضع متنزههما يعرف "بجنان الأمير" دون علم أحد، وعند قيامهما لصلاة المغرب أشار أبي بكر إلى غلامه فضربه فخر ساقطًا ميتًا،[3] وعندئذ اشتعلت نار الفتنة في تيهرت وثار أنصار محمد بن عرفة ومشايعوه على أبي بكر وانقسم أهل تيهرت إلى فريقين واحتدمت نار الفتنة في المدينة[4] وتحولت إلى حرب أهلية بين العرب والعجم،[5] وخرج أبي بكر ومن معه من تيهرت، واستطاع أبي اليقضان بأن ينقذ تيهرت من هذه الحرب، وصارت الدعوة إلى أبي اليقضان.[6]

وتعود الأسباب الحقيقية لهذه الفتن والحروب إلى إهمال أبي بكر البلاد، وسوء إدارتها مما أتاح إثارة العصبيات، حيث أدت هذه الحروب إلى تدهور الأحوال الاقتصادية، وإحياء الروح القبلية، وضياع أمر السلطة، فانتشر الفساد والفسق ولم ينقذ تيهرت إلا انتقال الإمامة إلى أبي اليقضان.[7]

[1]– ابن الصغير: المصدر السابق، ص75.

[2]– بوزياني الدراجي: المرجع السابق، ص98.

[3]– ابن الصغير: المصدر السابق، ص77.

[4]– عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص475.

[5]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص160.

[6]– ابن الصغير: المصدر السابق، ص85.

[7]– جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص67.

4. جغرافية الدول الرستمية:

تمتاز جغرافية ذلك القسم من المغرب الأوسط والأدنى الذي قامت فيه الدولة الرستمية بالتنوع في طبيعتها والاختلاف في مناخها، إذ تشكل سلاسل الجبال حواجز طبيعية[1] تتمثل في سلسلتي الأطلس التلي والأطلس والصحراوي، وتمتد سلاسل جبال الأطلس الصحراوي وهي تنحدر شديدا نحو الصحراء وتتميز بأنها منابع لبعض المجاري المائية القصيرة التي تغذي عددا من واحات الصحراء.[2]

لقد مارس الرستميون سياستهم تلك على مساحة من المغرب الاسلامي، وأجمع المؤرخون الاباضيون ومن تأثر بهم، أنها كانت تمتد من تلمسان إلى سيرت في حين أنكر بعض المؤرخين هذا الامتداد، فجعلها بعضهم ضمن إطار الدولة الإدريسية، فاعتبروا تيهرت على البحر من بلاد إدريس بن إدريس،[3] وهناك أيضا من جعلها ضمن إطار دولة الأغالبة، فيذكر ابن أبي دينار بني الأغلب عن تمكن الأدارسة من بلاد المغرب،[4] وهذه الاختلافات في الآراء لا يمكن أخذها بمحمل الجّد دون التأكد من معطيات المنطقة وامتداداتها، فهناك إمارة بني مسرة بمدينة أوزكي في نواحي سعيدة، وإمارة بني مسالة بن هوارة بواد يعرف باسمها، بينه وبين المدينة نحو عشرة اميال وفي الشمال والشمال الشرقي هناك امارات علوية كإمارة بني محمد بن سليمان وهناك إمارة إبراهيم بن محمد بن محمود البربري المعتزلي، في مدينة تلي تيهرت[5] تدعى ايزرج، وبلاد

---

[1]– بحاز: المرجع السابق، ص137.

[2]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص15.

[3]– جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص58.

[4]– ابن أبي دينار: **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تح: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، د ط، 1967م، د ج، ص45.

[5]– **تيهرت** هي مدينة تقع بين تلمسان وقلعة بني حماد وفي سفح جبل يسمى قرقل. للمزيد ينظر إلى ابن حوقل أبي القاسم النصبي: **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، 1992م، د ج، ص94.

وبلاد مغيلة بجبل ونشريس من تيهرت[1] وتيهرت مدينة كبيرة، كانت قديما تسمى عراق المغرب، وتيهرت اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب تيهرت القديمة والأخرى المحدثة أهلة بين جبال وأودية، ليس لها فضاء بينها وبين البحر المالح مسيرة ثلاث رحلات في مستوى من الأرض وفيها واد يقال له واد الشلف،[2] وكانت مدينة تيهرت القديمة هي قاعدة المغرب الأوسط وقطب رخاه ومعها تلمسان في ذلك الوقت، فكانت تيهرت تحدها قبيلة صنهاجة ومزاتة من الشرق في جهة مليانة وغربها نفوسة وزواغة وغيرهما، وفي شمالها مطماطة وزناته ومكناسة وغيرها، أما جنوبا تحدها قبيلة لواتة، هوارة، لماية...إلخ،[3] ويذكر ابن عذاري المراكشي في كتابه البيان المغربي أن بين مدينة تلمسان وتيهرت كان يسكن بنو مرين وجميع قبائل زناته منهم تُجين، مغراوة، بنو راشد...إلخ،[4] وإن نظرنا في الشرق وإلى الجنوب من متيجة إمارة هاز وأهلها ليسوا إباضيين يعقبها وعلى مرحلة منها إمارة بني برزال في ناحية قصر البخاري وحدها إلى منطقة الزاب الأغلبية وهم إباضيون،[5] فالنسبة لحدود الدولة الرستمية فهي تبدأ من بجاية شرقا إلى وادي ملوية وجبال تازة غربا، أما الحدود الشرقية فتتميز بأنها حدود مفتوحة طبيعيا سهلت انفتاح المغرب الأوسط بجهات افريقية الجنوبية واقليم طرابلس وجبل نفوسة.[6] أما القسم الأوسط فيقع بين الأطلس الأطلس التلي شمالا وسلسلة جبال الأطلس الصحراوي جنوبا، وتقع تيهرت خلال سلسلة جبال الأطلس التلي، وتعتبر هذه المنطقة رعوية بالدرجة الأولى،[7] وفي الجنوب فقد امتدت حدود الدولة الرستمية حتى شملت شمال الصحراء، بما في ذلك ورقلة (ورجلان)،

[1]– جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص58.

[2]– اليعقوبي: المصدر السابق، ج، ص73.

[3]– محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص ص229، 230.

[4]– ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص65.

[5]– جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص59.

[6]– مجمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص ص13، 14.

[7]– بحاز: المرجع السابق، ص138.

ويدل على ذلك أن سكانها إباضيون[1] وأن الإمام يعقوب هرب إليها فتلقاه شيخ المدينة أبو صالح، بجموع أهلها وعرضوا عليه الولاية لإحياء الإمامة الرستمية، وهذا العرض يدل على أن ورجلان كانت تابعة للدولة الرستمية[2] وأيضا هناك واحات أخرى تابعة لها كبلاد سوف وأريغ والجريد... وتشكل منطقة الصحراء الجزء الأكبر من البلاد الرستمية، خاصة في أقصى شرق الدولة.

وأهم دور لعبته الصحراء في التاريخ الاقتصادي هو التجارة،[3] ومما تقدم يتضح أن اطار الدولة الرستمية شمل المغرب الأوسط باستثناء مناطق متفرقة، حيث قامت امارات علوية أو دويلات إباضية خارجة عن الإمامة الرستمية،[4] وفيما يتعلق بمنطقة جنوب المغرب الأدنى بلاد الجريد فإن الشماخي يذكر عمالا عليها من قبل الإمام عبد الوهاب بن رستم، ويبدو أنه كان يمارس سلطة فِعلية على المنطقة، فقد ذكر أنه أقطع أرض للخارجين عليه من نفوسة، تشمل منطقة الساحل، وكتب إليهم: « أغرسوا فيه بأمرنا واحرثوا فيه بإذننا»، ويذكر الشماخي كذلك عمالا من قبل الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن رستم كأبي يونس وسيم قنطرارة وميال بن يوسف على نفزاوة وهذا يعني أن هذه النواحي كانت تدين بالتبعية لتيهرت،[5] إلا أن ابن الآبار يذكر أن عامر بن عامر بن معمر بن سنان التميمي كان على قسطيلية واليا[6] من قبل القيروَان إلا أن أقدم محمد بن مقاتل العكي أميرا على إفريقية، كما ظهرت تبعية هذه المنطقة للقيروان في عهد زيادة الله الأذل الأغلبي[7] ويؤكد ابن عذاري هذه التبعية فيذكر: «أنهم تمسكوا بطاعته ولم ينقصوه شيئا

---

[1]– جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص59.

[2]– الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص105.

[3]– بحاز: المرجع السابق، ص 138.

[4]– جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 59.

[5]– الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص203.

[6]– القضاعي: **الحلة السيراء**، تح: حسين مرشد، د ن، القاهرة، ط1، 1963م، ج1، ص106.

[7]– ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص186.

من جبايته» ويبدوا أن هذه التبعية قد استمرت في عهد أبي عقال فذكر ابن خلدون أنه قد خرج بقسطيلية خوارج زواغة ولواته ومكناسة وقتلوا عمالها بها،[1] ومما سبق يتضح أن بلاد الجريد كانت تابعة لتيهرت كما هي تابعة للقيروان، وإن تبعيتها لتيهرت محدودة أما تبعيتها للقيروان كانت مفروضة وشاملة.[2] ويتضح أن حدود الدولة الرستمية تشمل المناطق المحيطة بتيهرت ومنطقة طرابلس باستثناء المدينة وارجاء من منطقة الجريد ومما ساعد على هذا التوسع أن الدولة الرستمية لم تضع حدود سياسة مرسومة.[3]

5. العلاقات الخارجية للدولة الرستمية:

أ- علاقة الدولة الرستمية بالأندلس:

كانت العلاقة بين الدولتين الرستمية والأموية بالأندلس علاقة حسنة وكان الدليل على ذلك وجود الجماهير الغفيرة من البربر في الأندلس، كما كان لهم دور في بناء حضارتها حيث اختلطوا مع العرب فصاروا شعبا واحدا، وقد كانت مصالحهم مشتركة سيما أن عدوهم واحد وهم العباسيين.

كما أن حضارة الدولة الرستمية ومبادئها وقيمها جعلت العلاقة جد حسنة مع الأندلسيين وتأثر كلاهما بالأخرى في مختلف المجالات.[4]

وقد كان لأفلح بن عبد الوهاب مع امراء بني أمية في الأندلس مواصلة وارتباط وثيق ومودة، حيث كانوا يتبادلون الهدايا النفيسة، وبقيت العلاقة على هذا حتى في عهد

[1]- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص288.

[2]- ابن خلدون: المصدر السابق ، ج4، ص28.

[3]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص، ص13، 15.

[4]- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص ص472، 473.

ابنه أبي اليقظان محمد وكان هذا الأخير يتخذ قراراته بعد موافقة محمد بن عبد الرحمان الأوسط، وهذا أكبر دليل على حسن العلاقة والمودة.[1]

أما في الجانب السياسي فقد كانت العلاقة قائمة على التحالف القوي والمتين، لأن العباسيين كانوا أعداء للأندلسيين كما كانوا كذلك بالنسبة لتيهرت مما دفع بأمراء بني أمية بتوطيد علاقتهم بالرستميين والتعاون معها سياسيا واقتصاديا وحضاريا، ففي اطار التعاون السياسي كان ارتباطهما وثيقا، وقد كان زعماء كل من الدولتين يتابعون لنشاط الآخر، كما كان بينهما تعاونا مطلقا في شؤون الإدارة والحكم، ولقد نمت العلاقة بينهما نموا كبيرا في عهد أفلح بن عبد الوهاب فقد كانتا تتبادلان اخبار الانتصارات في معاركهم وحروبهم وأصبح نقل الأخبار بينهما عن الانتصارات تقليدا سياسيا، بالإضافة إلى هذا فقد استعانت الدولة الأموية بالأندلس بالكثير من كبار القادة الرستميين الذين احتلوا مناصب عالية في دولتهم، كما منحت الدولة الرستمية حق الاستيطان والإقامة لكل الاندلسيين الذين وفدوا إليها للعمل والتجارة وغيرها بالعلاقة الطيبة والحسنة.[2]

ب- علاقة الدولة الرستمية بسجلماسة:

لقد حافظت الدولة الرستمية على صلات الود والأخوة المذهبية مع خوارج المشرق وجبل نفوسة ودولة سجلماسة الدولة الصفرية والمدينة الحاضرة[3] فقد كانت علاقة الرستميين مع هاته الدولة حسنة، هذا لتقارب الإباضية والصفرية.[4]

[1]- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص ص157، 161.

[2]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص218.

[3]- لقبال: المرجع السابق، ص174.

[4]- الميلي: المرجع السابق، ص63.

وتحسنت العلاقة بين هاتان الدولتان المتجاورتان بعد ازدهار الحياة الاقتصادية لسجلماسة،[1] بالإضافة إلى عقد المصاهرة بين عبد الرحمان بن رستم والإمام الصفري اليسع بن أبي القاسم سمكو بن واسول، حيث قدم ابنته أروى لابنه مدرار وهذا ليوفر عبد الرحمان بن رستم الاستقرار لبلاده ويقوى اركانها،[2] فقد كانت العلاقة مبنية على حسن الجوار وانعدمت الحروب بينهما على الرغم من الاختلاف الذي كان بين الصفرية والاباضية، ومن أسباب التقارب، الظروف السياسية القاسية التي مرّ بها الخوارج في المغرب الإسلامي وما عانوه من الضغط من طرف العباسيين.[3]

فقد تظافرت عدة ظروف سياسية عززت التقارب بينهما منها العداء للخلافة العباسية ونظام القيروان،[4] إذ أن حروب هؤلاء مع الخلافة ممثلة بولاة القيروان خلقت نوعا من الاضطراب،[5] بالإضافة إلى الادارسة وغيرهم، كما كانوا يطفئون نار الفتن بينهما كلما حاول الاعداء اشعالها فلم يكن في صالحهم تشجيع تلك الفتن بل سعت كل واحدة منهما إلى كسب إحترام ومودة الأخرى، وكانت ترى سجلماسة الدولة الرستمية كسند لهم إمام الادارسة الذين حاربوا الخوارج.[6]

فقد كانت العلاقة السياسية القوية بينهما مفتاحا لفتح باب العلاقات الثقافية والتجارية وغيرها، فقد اعتمدت دولة سجلماسة المذهب الاباضي وظهرت تأثيراته على سكانها كما أقام أهل سجلماسة في أنحاء الدولة الرستمية والعكس كذلك بالنسبة للرستميين.[7]

---

[1]– عصام الدين عبد الرؤوف: المرجع السابق، ص ص155، 161.

[2]– بحاز: المرجع السابق، ص163.

[3]– لبديري بلخير: **العلاقات السياسية بين الدولة الرستمية ودول المغرب**، سيدي بلعباس، الجزائر، العدد5، 2010، ص36.

[4]– لبديري بلخير: المرجع نفسه، ص38.

[5]– جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص210.

[6]– لبديري بلخير: المرجع السابق، ص38.

[7]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص210.

ت- علاقة الدولة الرستمية بالأغالبة:

كانت العلاقة بين الدولة الرستمية والاغالبة في البداية حسنة وهذا منذ توقيع معاهدة هدنة وإقرار مبدأ التعايش والمهادنة سنة 171هـ بين الدولتين وهذا ما ذكره أغلب المؤرخين بأنه لم تتخذ الدولتين طابعا عدائيا.[1]

في الحقيقة يرجع هذا الأمر إلى طبيعة الحدود المشتركة بين الدولتين، ولم تكن هذه الحدود واضحة المعالم وكان توقيع الاتفاق لتقرير مبدأ التعايش السلمي بين الدولتين حين اضطر الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم لذلك عندما اصطدم مع الأغالبة دفاعا عن موانئ دولته مع قبيلة هوارة ففي الاتفاق أكد الأغالبة احترامهم للامتداد الجغرافي للدولة الرستمية كما احترم الرستميون حاجة الأغالبة إلى الشريط الساحلي لهم.[2]

ومن خلال هذا نلاحظ أن الدولتين المتجاورتين والمتعارضتين رغم اختلافهما سياسيا ودينيا إلا أنهمالم يكن لديهم الرغبة في السيطرة أو الاعتداء على بعضهما.[3]

لكن سياسة التعايش السلمي هذه التي اتبعتها الدولة الرستمية استغنت عنها في الكثير من الأحيان وذلك للدفاع عن نفسها ضد الأغالبة وأطماعهم، فعند قيام محمد بن الأغلب سنة 239هـ ببناء مدينة عباسية بالقرب من تيهرت كان يمس بهذا المبدأ السلمي إذ استهدفت الأغالبة ببنائها للقضاء على المركز التجاري الهام الذي احتلته تيهرت، كما رأى الرستميون انها بنيت لتكون قاعدة للهجوم على عاصمتهم بتيهرت لهذا قام عبد

[1]- لبديري بلخير: المرجع السابق، ص38.

[2]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص220.

[3]- جورج مارسية: **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1991، ص123.

الوهاب بإخلائها وحرقها، فقد تغيرت العلاقة بينهما من الطابع السلمي إلى العدائي،[1] وقد كانت ضربات الأغالبة على بعض أقاليم الدولة الرستمية أحد أسباب سقوطها.[2]

6. سقوط الدولة الرستمية

يرجع سقوط الدولة الرستمية إلى العديد من الأسباب ومن بينها أن الدولة وصلت إلى مرحلة متدهورة لأوضاعها نظرا "لأن الرستميين فقدوا، وضعف حماسهم لمذهبهم مقارنة لما كان عليه جدهم الأول فانحرفوا على مبادئه وافتقدوا العصبية المذهبية[3] بالإضافة إلى افتراق كلمة الأمة واختلاف الرستميين فيما بينهم.[4] فلقد مرت الدولة في أزمات مهدت إلى سقوطها، فمثلا الأزمة التي وقعت في عهد الإمام عبد الوهاب الإمام الثاني لدولة الرستمية والتي أودت إلى انقسام المذهب الإباضي إلى قسمين النكارية[5]،[6] والوهابية وانضم إلى النكارية الواصلية والمعتزلة،[7] أما الأزمة الثانية والتي تعتبر خطيرة والتي دمغت في العهود الأخيرة لدولة والتي حصلت في عهد الإمام أبي حاتم، حيث أن عمه خالف عليه أولا ثم خالف عليه أخوه اليقظان ثانيا وأقضى الخلاف إلى قتله

[1]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص221.

[2]– تاديوش ليفيتسكي: المرجع السابق، ص896.

[3]– محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص196.

[4]– الميلي: المرجع السابق، ص86.

[5]– سمو **نكارية** لإظهارهم إنكار إمامة عبد الوهاب ولما أطلق عليهم هذا الاسم كانوا يجتمعون بكدية ومنذ ذلك حين أصبحت تسمى باسمهم. للمزيد ينظر إلى: عبد القاجر موهوبي السايحي الإدريسي الحسني: **ومضات تاريخية وإجتماعية لمدن واد ريغ وميزاب والطيبات والميلية والحجيرة**، د ط، دار البصائر، الجزائر، 2011م، ص34. وينظر إلى: **سير الأمة وأخبارهم**: المرجع السابق، ص58.

[6]– ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص164.

[7]– جورج مارسية: المرجع السابق، ص50.

وانتصاب اليقظان مكانه،[1] ومن بين أسباب السقوط تحطم نفوسة على يد الأغالبة في موقعة مانو سنة 283هـ/896م والتي تعتبر الدرع الواقي للدولة.[2]

في ظل هته الظروف ظهرت الدعوة الشيعية في بلاد المغرب، وقضت على دولة الأغالبة، بزعامة أبو عبد الله الشيعي[3]،[4] والذي قصد رقادة سنة 296هـ/909م حتى قصد قصد تيهرت وخرج أهلها متبرئين من اليقظان وواعدين له بفتح المدينة، فخرج اليقظان مع أهله، ولقيه أبو عبد الله الشيعي[5] والذي تمكن من قتله هو ومن معه من أهله، وأرسل برؤوسهم إلى أخيه أبي العباس قطوفة بالقيروان،[6] ثم علقت على باب رقادة وقد قام باستباحة أموال الرستميين، واتجه إلى مكتبة المعصومة وقام بحرقها بعد أخذه كتب الحكم والفنون والرياضيات.[7] وهكذا سقطت الدولة الرستمية على يد العبيديين سنة 296هـ/909م وعلى إثرها فر يعقوب بن أفلح إلى ورجلان من بطش العبيديين والبعض الآخر اتخذ من وادي ريغ مستقرا له فأنشأوا بها القرى والأمصار وقد دامت الدولة الرستمية 135 سنة، وسقطت بسبب تحامل الشيعة عليها.[8]

---

[1]– عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص147.

[2]– الميلي: المرجع السابق، ص88.

[3]– **أبو عبد الله الشيعي بن محمد بن زكريا**، المعروف بالشيعي، وهو من أهل صنعاء باليمن، كان من الرجال الدهاة الدهاة الخبرين بما يصنعون. للمزيد ينظر إلى: بن خلكان شمس الدين أحمد (681هـ/1282م): **وفيات الأعيان**، (د ط)، الدار المصرية، القاهرة، ص192.

[4]– الميلي: المرجع السابق، ص86.

[5]– البكري: المصدر السابق، ص68.

[6]– عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 565.

[7]– عبد القادر موهوبي السايحي الإدريسي الحسني: المرجع السابق، ص33.

[8]– عمار بوحوش: **تاريخ الجزائر منذ البداية لغاية 1962م**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص34.

الفصل الثاني: الدراسة الاقتصادية

أولا: الزراعة والرعي:

أ- الزراعة.

ب-الرعي.

ثانيا: الصناعة.

ثالثا: التجارة:

1) الداخلية.

2) الخارجية.

3) الصادرات والواردات.

4) التجارة مع السودان الغربي.

رابعا: الموارد المالية: (بيوت الأموال ودار الزكاة).

أ- بيت المال موارده ونفقاته.

ب-دار الزكاة والموارد والنفقات.

خامسا: أثر الاقتصاد على الوضع الاجتماعي.

أ- الحسبة.

ب-المستوى المعيشي.

أولا: الزراعة والرعي:

أ- الزراعة:

بعدما استقرت الأوضاع السياسية في الدولة الرستمية سارت الحياة الاقتصادية (الزراعة، الصناعة، التجارة) نحو التحسن والازدهار، فقد كان الرستميين يمتلكون أراضي زراعية واسعة وفيرة الوديان والمجاري المائية التي كانت تحيط بالعاصمة تيهرت فهي تقع بين نهرين عظيمين يصّبان في واد يجري من ينابيع جبل سوفجج[1] بالإضافة إلى الأمطار الغزيرة التي كان لها أثر كبير في تكوين السهول الخصبة في المغرب الأوسط، كما عمل الرستميين على استغلال هاته المياه المتدفقة إلى عاصمتهم بشق القنوات التي توصلها إلى بساتينهم ومزارعهم، وقد كانت أهم المنتجات الزراعية في المنطقة الحبوب، كما اشتهرت تيهرت بهذا الإقليم الزراعي الخصيب الذي أحاط بها وكثرة بساتينها ومزارعها وجمالها العظيم فأُطلق عليها عراق المغرب.[2]

فالدولة الرستمية بمختلف أقاليمها شملت زراعة مزدهرة حيث كانت تيهرت المرتفعة يكتسيها الجو البارد، فذكر الإصطخري: «إن تربة تيهرت خصبة واسعة البرية والزروع والمياه»[3] وقد وصف المؤرخون زراعة تيهرت وأحوازها إذ يقول أحدهم بأن بها «جميع الثمار وسفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنًا وطعمًا ومشما وسفرجلها يسمى بالفارس»،

---

[1]- جبل سوفجج: يقال أنه لم يتمكن من تعيين الجبل لتبدل الأسماء وطول الزمن، ويقال هو الجبل المعروف حاليا بسوفليك جنوب تيهرت. وللمزيد ينظر للباروني سليمان باشا: **الأزهار الرياضية في أئمة الملوك الإباضية**. موقع الإستقامة، ص7. WWW.ISTiquama.net

[2]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص231.

[3]- الإصطخري أبو إسحاق الكوفي: **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، د ط، 1927م، د ج، ص20.

فمنطقة تيهرت هي منطقة زراعة الحبوب لكثرة مياهها وبرودة مناخها ووقوعها قرب التلول الصالحة لزراعة تلك الغلة.[1]

1/- أنواع الأراضي والطرق الزراعية

امتازت الدولة الرستمية، وبحكم شساعة رقعتها الجغرافية بتنوع أراضيها التي نجد منها أراضي الموات وهي أراضي البور التي يقطنها السلطان لمن يحبسها ويزرعها، والنوع الثاني أراضي الظهير وهي تعطى للأشخاص من قبل السلطان ولا تورث عنه بالإضافة إلى الأرض الموظفة وهي الأراضي التي فُرض عليها الضريبة والأراضي القانونية التي يقطعها ولاة الأمر للأفراد نظير الخدمات التي قدموها للدولة، كذلك الأراضي السلطانية وهي الأراضي التي تسمى بالخراج، بالإضافة إلى أراضي العشر وأراضي الإقطاع.

كما كان لهم نظام زراعي حيث كانت تيهرت وتلمسان تتمتعان بالتطور ووفرة الأراضي الزراعية.

كما اتبع الرستميين طرق زراعية تمثلت في المناوبة التي كانت معروفة في ذلك الوقت فيزرع نصف الأراضي عام ويترك نصفها بورًا وكانوا يعملون على تسوية الأرض بنقل التربة من مكان مرتفع إلى مكان منخفض،[2] وكانوا يعمرون غاباتهم بالمناصفة يكون لهم النصف من غلالها وللسلطان النصف الآخر بالإضافة إلى تأديتهم العشر من النصف. وكان لكل عائلة قطعة من الأرض تستغلها ويبدوا أن نظام ملكية الأرض كان يعتمد على الملكية الخاصة وقد اعتمدت الزراعة في تيهرت على جميع المياه حيث أقاموا

[1]- بحاز: المرجع السابق، ص144.

[2]- كمال السيد أبو مصطفى: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي**، د ط، 1996، د ج، ص63.

لها الجسور في بساتينهم لسقيها من مياه الأمطار وكان الهدف من بناء الحواجز حول البساتين هو إنشاء السدود لسقي وحماية التربة من الانجراف.[1]

2/- أهم المنتجات الزراعية:

اعتمدت زراعة الرستميين بشكل كبير على إنتاج الشعير والقمح حيث كان يطحن ويصنع منه الخبز الطيب الطعم، إضافة إلى زراعة اللفت والجزر والفجل والثوم والبصل والكرنب، والجلجلان، أما اللوز فكانت تكمن أهميته في إنتاج بعض الحلويات إضافة إلى بعض الفواكه كالبطيخ والرمان والإجاص والبرقوق والمشمش والسفرجل والتفاح، أما زراعة التين والزيتون فقد كانت منتشرة بكثرة في جبل نفوسة حيث كان يصنع منه الزيت ويحفظ في قلائل، إضافة إلى زراعة التمر الممتاز والزعفران.[2]

وهكذا فقد جمعت المنتوجات الزراعية بين المزروعات التلية والصحراوية، فهي تقع بين الجبال وعلى محاذات الصحراء في آن واحد.[3]

ب الرعي:

كانت تربية الماشية في بلاد المغرب تقوم جنبا إلى جنب مع الزراعة،[4] فقد انتشرت النطاقات الرعوية الواسعة التي دعّمت اقتصاد الدولة بثروة وفيرة ملأت أسواقها بمنتوجات حيوانية[5] من دواب ومواشي فقد كثرت بتيهرت البقر والغنم والخيل.[6]

---

[1]- مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص - ص122- 125.

[2]- جورج مارسيه: المرجع السابق، ص206.

[3]- صالح معيوف مفتاح: **جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني هجري إلى أواخر القرن الثالث هجري**، مؤسسة تاولت الثقافية، د م، د ط، 2006، د ج، ص43.

[4]- بحاز: المرجع السابق، ص158.

[5]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص232.

[6]- الميلي: المرجع السابق، ج2، ص76.

كما كان المغرب الأوسط في فترة من الفترات مرعى لمختلف الحيوانات خاصة الغنم والخيل بحكم طبيعتها الغابية.[1] فقد كانوا يأجرون الرعاة لرعي ماشيتهم وأغنامهم لفترة معينة نظير أجرة معلومة.[2]

وتحدث ابن حوقل حول الماشية في تيهرت واحوازها قائلا: «من أحد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفراهية»[3] فلا غرابة أن تتبوأ تيهرت هذا الدور في النشاط الرعوي إلى جانب دورها الزراعي فوجودها بمحاذاة منطقة الاستبس الرعوية وقربها من الصحراء مجال القبائل البدوية المتنقلة وراء ماشيتها، فلولاها أن تكون أرض زراعية تتخللها مراعي.[4]

[1]– بحاز: المرجع السابق، ص159.

[2]– كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص76.

[3]– ابن حوقل: المصدر السابق، ص86.

[4]– بحاز: المرجع السابق، ص159.

ثانيا: الصناعة:

إن حالة الاستقرار التي شهدها عموم المغرب الأوسط، قد شكلت بداية نحو الاهتمام بالحركة الاقتصادية، بالعمل على تفعيل العملية التنموية التي انتعشت فيها الزراعة.[1]

وكان أبرز نشاط صناعي عرفته الدولة الرستمية، كان مرتبطا بشكل مباشر بالزراعة والماشية.[2] وقد ازدهرت الصناعة في المجتمع الرستمي، لتلبية حاجيات أفراده وكان لتوفر المواد الخام اللازمة لمختلف الصناعات أثرها في توفرها فاشتهرت تيهرت بصناعة المنتوجات، على اختلاف أنواعها،[3] حيث كانت هذه الصناعة بدوية وبسيطة،[4] وتباينت الصنائع واختلفت فمنها من يعطي صاحبها الشرف الرئاسة، ومنها من تبقيه في طبقة العامة، وجرت العادة في مجال الصناعة أن يأخذ الصانع حانوتا ويسمى "بالمعلم"، وكان أصحاب المهن يرتدون كباس خاص ببضائعهم،[5] كما كان أهل أصحاب المهن من سائر الصناعات، لا يختلطون بغيرهم وكل سوق مفردة،[6] أما ازدهار الصناعة فكان بفضل اتساع العمران، وظهور مدن جديدة وتوفر المواد الخام ونشاط الحركة التجارية.[7]

---

[1]– عمار غرايسة: **المدينة الدولة في المغرب الأوسط، إرجلان أنموذجا،** (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في حضارة المغرب الأوسط في المغرب الإسلامي، غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2008م)، ص27.

[2]– بحاز: المرجع السابق، ص105.

[3]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص231.

[4]– جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص19.

[5]– جودت عبد الكريم يوسف: **الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين 3– 4هـ،** د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س، د ج، ص40.

[6]– اليعقوبي: المصدر السابق، ص9.

[7]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع،** ص ص 43، 44.

إذ أن تصريف السلع يعني ظهور سلع جديدة وفي حين حدوث كساد، تتوقف الحركة الصناعية.[1]

كما توجد معادن الفضة والذهب والزئبق الذي لا يقارنه في الغزارة والكثرة معدن في سائر بلدان الإسلام، ونجد أيضا معدن المرجان، ومعدن الحديد في مدينة "بونة" التي يحمل منها إلى الأقطار الغزير الكثير.[2]

وتعددت المناجم التي أمدت الصناع بحاجاتهم ولوازم صناعتهم،[3] كما كانت تصنع لهذه المملكة ناتج الصوف والكتان والأواني والخزف، والطين والزجاج المرصع بالعاج،[4] ومن بين الحرف نجد صناعة الأنسجة والفخار، والخزف إضافة إلى الصناعات التحويلية.[5]

أ- **صناعة الأنسجة:** نالت الأنسجة شهرة كبيرة، بفضل استخدام الصباغة الأرجوانية التي تعطيها لون مميزا.[6]

وكانت أكثر المراكز شهرة في صناعة الأنسجة: "جربة" و"القل"، وتعتبر هذه الصناعة الصناعة الرئيسية بسبب حاجة الناس إليها، على اختلاف طبقاتهم وكذلك وفرة المادة الخام كالصوف، وقد عرفت تيهرت صناعة الخر وهو نسيج من الصوف والحرير والكتان كان يستعمل في صنع الملابس.[7]

---

[1]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص44.

[2]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

[3]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص232.

[4]- الميلي: المرجع السابق، ص76.

[5]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص46.

[6]- محمد الهادي جارش: **التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د ج، د ط، د سنة، د ج، ص200.

[7]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص ص46، 48.

والأحذية والحرير والقطن، حيث يصنع من الملابس الحريرية كالجبة والقلنسوة[1] واعتمد هذا النشاط الصناعي على أدوات خاصة مثل المناسج والمغازل، والأنوال التي كان الحرفيون يصنعونها،[2] وكانت هذه الصناعات اكثر حملا على المرأة حيث كُنَّ يشتغلن في أحد البيوت في صنع الملابس،[3] كما كانت أيضا تشتهر بصناعة السجاجيد وخاصة في جبل نفوسة.[4]

ب-**الصناعة المعدنية:** منها الصناعة الحديدية، وتحتاج الصناعة المعدنية إلى المواد الخام، ومادة الخشب فكانوا يصنعون منها الاسلحة مثل السيوف والأدوات المنزلية والفؤوس والاقفاص والمواد اللازمة للزراعة والسلاسل وغيرها.[5] وكانت هناك صناعة في تونس وسوسة، تمثل لنا بعض المسامير التي تجمع الالواح المدهونة لأسقف جامع القيروان الكبير.[6]

كما كانت هناك أرجية توضع على أفواه الانهار لطحن الحبوب وكانت موجودة في مختلف مناطق الدولة الرستمية،[7] ويصفها بعض المؤرخين أنها كانت مناطق ذات عيون سائحة، وطواحين ماء، وهذا يدل على وفرة الانتاج وتحسن مستوى المعيشة،[8] كما وجدت

---

[1]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص48.

[2]- بحاز: المرجع السابق، ص169.

[3]- صالح معيوف مفتاح: المرجع السابق، ص67.

[4]- جورج مارسيه: المرجع السابق، ص 93.

[5]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص56.

[6]- جورج مارسيه: المرجع السابق، ص 92.

[7]- البكري: المصدر السابق، ص60.

[8]- إسماعيل سامعي: **(الحركة الاقتصادية في المغرب الأوسط من خلال صورة الأرض لإبن حوقل)**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، دورية اكاديمية متخصصة محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية والانسانية، العدد20، 1427هـ/ 2006م، ص184.

صناعة العطور، وعصر الزيتون والصناعات الطبية التي تستعمل في علاج بعض الأمراض.[1]

ج- **تصنيع المنتوجات الحيوانية:** مثل صناعة الجلود أو الدباغة، وكانت تيهرت نشطة جدا في هذه الصناعة، لوفرتها للدواب والماشية.[2] وترتبط بهذه الصناعة صناعة أخرى وهي: الخرازة، وصنعوا من الجلد الطبول والدفوف والقربة وصناعة الرق الصالح للكتابة.[3]

كما نشطت صناعة الزيتون، لوفرة مزارع الزيتون،[4] وقد اشتهر بهذه الصناعة جبل نفوسة.

د- **الصناعة الخشبية:** كانت من بين الصناعات بالدولة الرستمية صناعة السفن والقوارب الصغيرة،[5] وكان يصنع من الخشب الأثاث المنحوت والمخروط والمرصع بالعاج،[6] والكراسي والقباقيت وعرفت الصناعة الكثير من الحرفيين فكان منهم النشار والخشاب والنجار وغيرهم.

هـ- **الصناعة الفخارية:** تميزت بصناعة القلاقل والجراز والأباريق والكيزان والكؤوس وغيرها،[7] كما تقدمت صناعة الأواني الفخارية والخزف، خاصة في قرية "ويغو" كانت تؤجر فيها بعض مصانع الأواني الفخارية والخزف.[8] خاصة التي تستعمل كمواقد

---

[1]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص58.

[2]- بحاز: المرجع السابق، ص166.

[3]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص60.

[4]- كمال السيد أبو مصطفى: المرجع السابق، ص79.

[5]- بحاز: المرجع السابق، ص ص168، 169.

[6]- الميلي: المرجع السابق، ص76.

[7]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص61.

[8]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص233.

للجمر، المستخدمة في الطبخ والتدفئة.[1] وكانت هناك صناعات كصناعة الأوعية من سعف النخيل، اشتهرت بكثرة في جبل نفوسة، كالقفاف والقلل والخوابي.[2] كما انتشرت صناعة الزجاج في القيروان.[3]

وهكذا كانت الصناعة في الدولة الرستمية في جميع مناطقها سواء في جبل نفوسة أو تيهرت أو نواحي تونس وسوسة كان يغلب عليها طابع البساطة، حيث اعتمدت على المنتوجات الزراعية والحيوانية، فكانت الصناعة تشمل العسل والتين المجفف والتمور ومختلف المواد الغذائية، مثل صناعة عصر الزيتون التي اشتهرت بها تيهرت وجبل نفوسة بالذات مثل قرية " اجناون" التي تدور المياه بها على اثني عشر ألف زيتونة إضافة إلى جزيرة "جربة" التي اشتهرت بمعاصرها،[4] وكان أهل الصناعات ينتقلون إليها من كل بلد، ويأتونها من كل مرفق.[5]

[1]– مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص311.

[2]– صالح معيوف مفتاح: المرجع السابق، ص48.

[3]– جورج مارسيه: المرجع السابق، ص93.

[4]– بحاز: المرجع السابق، ص ص165، 166.

[5]– اليعقوبي: المصدر السابق، ص100.

ثالثا: التجارة:

1) التجارة الداخلية: كانت التجارة من أهم النشاطات الاقتصادية في الدولة الرستمية فتحولت الأسواق إلى مدن وذلك من أنظمتها التي تعقد بشكل مستمر ومتواصل، فإن العنصر الغريب في العاصمة الرستمية زاد النشاط الداخلي حيوية، فالاستقرار السياسي والأمان على النفس والمال، وحسن سيرة الحاكم تعتبر من أهم العوامل التي يطلبها كل تاجر يريد لتجارته الربح ولنفسه الاطمئنان، وهي عوامل وفرها الرستميون في دولتهم ومن الأدلة البارزة على نشاط التجارة للدولة الرستمية وهي امتلاك شخص بمفرده لسوق مثلا: سوق ابن وردة.[1] ومن هنا كثرت فيها المتاجر والاسواق.[2] كما تتمثل التجارة الداخلية في تبادل المنتوجات والبضائع بين الحواضر الساحلية والداخلية لسكان الأرياف وهذا النوع كان حركيا ومربحا، يدل ذلك عليه رخص أسعار منتوجات كالقمح والشعير والفواكه والتبن والمواشي والألبان والعسل، فالأسواق توجد في كل قرى وحواضر هذه المناطق، وبهذه المناطق أسواق أسبوعية وموسمية، يذكر منها: أسواق مجانة ومسكيانة، هذه الأخيرة التي يقول عن سوقها أنه ممتد كالبساط وسوق باغاي وسوق أركوا وسوق إبراهيم، سوق ريغه وسوق كران وغيرها.[3] حيث كان في تيهرت الوارق التي بها أسواق عامرة بمختلف البضائع وقد تحولت بعض الأسواق في الدولة الرستمية إلى مدن بارزة منها سوق (إبراهيم وكران).[4] وقامت أسواق أيضا في جبل نفوسة في المدن الكبرى نظرا لتوسعها العمراني ووجود تجمعات سكانية كبيرة فكانت لمدينة جادو مثلا أسواق كثيرة كما كانت بمدينة شروس

[1]- بحاز: المرجع السابق، ص ص175، 176، 177.

[2]- عمار عمورة: المرجع السابق، ج1، ص96.

[3]- اسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص179.

[4]- بحاز: المرجع السابق، ص175.

أسواق يقصدها التجار من كل ناحية مما يصعب إيجاد مسكن بها،[1] حيث تحولت شيئا فشيئا بفعل الاستقرار بها إلى مدن معروفة مع الاحتفاظ بطابعها التجاري فالتجارة الداخلية تعتبر من أساسيات التبادل التجاري،[2] وتوجد إشارات تبين أن هناك تجار وفدوا من البصرة إلى تيهرت،[3] حيث نشطت حركة التجارة وجذبت إليها قطاعات كبيرة من السكان، حتى الأئمة أنفسهم كانوا يقومون بأعمالهم التجارية الخاصة فالإمام عبد الوهاب بن رستم كان يمارس التجارة قبل توليه الإمامة،[4] فالتبادل التجاري أو التجارة الداخلية لا يتجاوز في معظمه على المنتجات الداخلية مثل الغذاء والكساء التي تأتي عادة من المحاصيل الزراعية والمنتجات الحيوانية التي تزخر بها المنطقة في ذلك الوقت لأن هذه المناطق لم تصل إلى الوحدة في الإنتاج.[5]

وجمعت تيهرت بين توفر المحاصيل الزراعية والاشجار والبساتين وبين التجارة الواسعة وتعضد الانتاج الثروة الحيوانية التي كانت هي الأخرى من الأسباب للحركة التجارية المنشطة لها.[6] حيث يستبدل البدو بضاعتهم من الغنم والصوف والجلود والشحم والسمن والألبان المجففة والتمور المجلوبة من أسواق الواحات، ببضائع العاصمة أو التل وتتمثل خاصة في الحبوب من قمح وشعير إضافة إلى بعض المواد الضرورية ذات الاستعمال الموسمي كالعسل وبعض الفواكه، أو ذات الاستعمال الضروري كالألبسة والأفرشة وبعض الأواني كما أنها تستفيد من البضائع المجلوبة من بلاد الأندلس والسودان أو من المغرب والمشرق الإسلامي[7] حيث كانت تيهرت رائعة في

[1]- مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص339.

[2]- بحاز: المرجع السابق، ص175.

[3]- صالح معيوف مفتاح: المرجع السابق، ص47.

[4]- أحمد إلياس حسين: المرجع السابق، ص27.

[5]- صالح معيوف مفتاح: المرجع السابق، ص47.

[6]- إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص183.

[7]- بحاز: المرجع السابق، ص178.

أسواقها[1] ويتضح ذلك فيما أورده الونشريسي أن لكل سوق من أسواق المغرب كان يختص بنوع معين من السلع[2] فهناك سوق النحاس، سوق الأسلحة وسوق الصناعة والأقمشة وغير ذلك مما تتطلبه الدولة المتمدنة والقوم المتحضرون وكان الجمهوريون كلهم على النشاط والإخلاص والجد لبناء دولتهم فاتجهوا إلى الزراعة والصناعة والتجارة فعمرت أسواق الدولة بالمنتجات.[3] وقد قام هؤلاء جميعا بتجارة داخلية تقوم عليها أسواق تيهرت وحوانيتها.[4]

كانت التجارة الداخلية للدولة الرستمية نشيطة بنشاط الزراعة من جهة ومن جهة أخرى نشيطة بنشاط التجارة الخارجية.[5]

- **المكاييل والموازين والعملة المستخدمة:**

أ- **المكاييل:** لا تعطينا المصادر التي عنيت بالحياة الاقتصادية في بلاد المغرب معلومات وافية عن المكاييل المستعملة. مثلا في جبل نفوسة كانوا إذا وزنوا لأحد من الناس زادوا من أنفسهم خروبة وإن أرادوا أن يأخذوا لأنفسهم من أحد نقص خروبة. فإن المكاييل والموازين بين المدن الرستمية مختلفة في الكم والعدد وليست مختلفة في الأسماء.[6] ومهما يكن من أمر فإن المقدسي قد تحدث بإسهاب عن المكاييل وموازين بلاد المغرب، نذكر أن أرطاله كانت بغدادية ما عدا الذي يوزن به الفلفل فإنه ينقص عن البغدادي بعشرة دراهم[7] وتجدر الإشارة إلى أن هذه

---

[1]- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص287.

[2]- كمال السيد أبو مصطفى: المصدر السابق، ص70.

[3]- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص287.

[4]- جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات**، ص116.

[5]- بحاز: المرجع السابق، ص197.

[6]- مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص363.

[7]- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة ليدن، د م، ط2، 1906، د ج، ص204.

المكاييل لم تكن موحدة في سائر بلاد والمغرب فلذلك فهي تختلف عن موضع إلى آخر.[1]

وذلك لأن البكري عندما يتحدث عن المكاييل وأوزان تيهرت يذكر أن المد الذي يكتالون به القمح وغيره من الحبوب وخمسة أقفزة ونصف قرطبية.[2] وقنطار الزيت وغيره عندهم قنطاران غير ثلث[3] للوزن العادي،[4] إلا المجلوب من الفلفل وغيره فإنه قنطار ورطل اللحم عندهم خمسة أرطال، ويعكس هذا أمرين: أولهما أن المد المستخدم عند الرستميين هو المد الأندلسي القرطبي وثانيهما: حالة الرخاء التي يباع فيها قنطاران إلا ثلث من الزيت على أنهما قنطار واحد، وخمسة أرطال لحم على أنها رطل واحد عدا السلع المستوردة كالفلفل وغيره، فإن قنطارا منها يعدل قنطارا واحدا فقط.[5] إن هذه المواد الضرورية ذات الاستعمال اليومي، والتي تنتج أساسا في تيهرت وضواحيها، ويلاحظ أنها بخسة الثمن لوفرتها فهي لا تباع بالمكيال العادي وإنما بزيادة أضعاف، أما المواد الغذائية المستوردة أو المجلوبة تنزع كالفلفل والبهارات والملح وغيرها فإنها تكتال بالمكيال العادي وهو قنطار عدل لا أكثر ولا أقل لأن المادة غزيرة ومطلوبة ولعلها لا تكون موجودة باستمرار في المدينة فكيلها يبقى ثابتا مثل المشرق، لأنها أساس جلبت من هناك خاصة منها التوابل.[6]

---

[1]– مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص363.

[2]– أبو عبيدة البكري: المصدر السابق، ص68، 69.

[3]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص235.

[4]– بحاز: المرجع السابق، ص180.

[5]– محمد عيسى الحريري : المرجع السابق، ص235.

[6]– بحاز: المرجع السابق، ص180.

وبالإضافة إلى المكاييل هناك المد والمطر والصفحة...إلخ. فالمد هو كيل مدينة مليلة وهو خمسة وعشرون مد/ بمد النبي صلى الله عليه وسلم[1] ورطلهم اثنتان وعشرون أوقية والاوقية حمسة عشرة درهما وقنطارهم من جميع الأشياء بهذا الرطل أما المطر فهو كيل يسع خمسة أقفزة من الزيت في حين أن الصفحة تساوي ثمانية وأربعون قادوسا، والقادوس ثلاثة أمداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو كيل مدينة تنس.[2] البحرية التي أسسها جماعة من الاندلسيين في العصر الرستمي، واتخذوها مرفأ لانطلاق سفنهم التجارية إلى بلادهم في العدوة. وبتعبير آخر يمكن أن نقول أن الصفحة الواحدة لمدينة تنس تحتوي على مئة وأربعة وأربعون مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم. كما أن هذه الاوزان تختلف من مكان إلى آخر ومن الأمثلة على ذلك، أن رطل مدينة تونس يساوي اثنا عشرة أوقية في حين أن رطل مدينة تنس يساوي سبع وستين أوقية[3] وهو رطل خاص[4] بوفرة اللحم. في حين أن رطل سائر الأشياء الأخرى لا يتعدى الاثنين والعشرين أوقية.[5] وقد نجم عن ذلك أن اختلفت قيمة القنطار من منطقة إلى أخرى.[6]

إن اختلاف المكاييل والموازين فيما بين المدن الرستمية وهو اختلاف في الكم والعدد وليس الأسماء حسب الظاهر على الأقل، إنما راجع إلى حرية التجارة وعدم تدخل السلطة لفرض تعامل معين، ولعل هذه الوضعية شجعت التجارة في الدولة الرستمية فعرفت بذلك نشاطها الاقتصادي الكبير، ولم تكن المكاييل والموازين وحدها مختلفة من مدينة إلى

---

[1]– **المد النبوي** هو الذي جلب من المدينة إلى بلاد المغرب والأندلس على حد قول الونشريسي وكان مد النبي صلى الله عليه وسلم الذي تؤدى به الصدقات والزكاة لا يزيد عن رطل ونصف ولا يقل عن رطل وربع، أي انه كان حوالي رطل وثلث والمعروف أن الرطل كان يساوي اثنتي عشرة أوقية وعلى هذا فإن المد النبوي يزن ستة عشر أوقية في بلاد المغرب الإسلامي. للمزيد ينظر إلى: الونشريسي: المصدر السابق، ص81.

[2]– مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص364، 365.

[3]– بحاز: جبل نفوسة، ص ص180، 181.

[4]– مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص366.

[5]– بحاز: المرجع السابق، ص180.

[6]– مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص365.

أخرى في الدولة وإنما نجد حتى العملة المتداولة آنذاك لم تعرف نوى واحدا في جميع البلاد.

ب-**العملة:** قليلة هي الإشارة التي نعرفها عن العملة في الدولة الرستمية خاصة في تيهرت، فالدينار والدرهم العملتين المتداولتين (في بلاد المغرب الإسلامي –لم يشذ الرستميون– عن هذه القاعدة فضربوا الذهب عملة،[1] فسكان جبل نفوسة لم يكن لهم عملة يتعاملون بها، على غرار الرستميين، وقد أكد ذلك الأثريان الفرنسيان (D.Lammartو G.Marcais) اللذان قاما بتنقيبات في تيهرت وعثروا على مجموعة من النقود الرستمية،[2] ويؤكد كذلك وجود العملة الرستمية عبد الرحمان الجيلاني ويذكر أنهم ضربوها باسمهم ولكنه لا يضيق شيئا أكثر من ذلك وأشار أبي اليقظان أنه رآها في متحف الخلدونية بتونس،[3] وذلك أن الرستميين قد ضربوا سكتهم منذ إمامة عبد الرحمان بن رستم على القيروان فقد صك فلوسا من النحاس كتب على أحد وجهيها "ضرب هذا الفلس بإفريقية |كذا|"[4] وعلى الوجه الآخر كتب "سنة اثنتين ومائة"،[5] فيروى أن أفلح بن عبد الوهاب قد ضرب دنانيرا[6] ودراهم يتعامل بها الناس في سائر المغرب وهي مدورة الكتابة فأما الدرهم المقدسي كان له نصف يسمى القراط، وربع ثمن يسمى خرنوبة،[7] والمقدسي يتحدث عن التعامل مع هذه الدنانير والدراهم في بلاد المغرب.[8] ومهما يكن من أمر فهما لا شك فيه أنه

[1]– بحاز: المرجع السابق، ص181.
[2]– مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص365.
[3]– بحاز: المرجع السابق، ص182.
[4]– مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص366.
[5]– بحاز: المرجع السابق، ص183.
[6]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص235.
[7]– مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص366.
[8]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص235.

كانت للرستميين عملة خاصة بهم وعلى الأرجح أنها ذهبية،[1] وذلك لتدفق الذهب الذي كان يتكدس من السودان في الحواضر الكبرى حيث كانت تضري النفود الذهبية والفضية والنحاسية، وكان لتيهرت دورها البارز في تلك العمليات التجارية أيام الرستميين.[2] وكان لأهل ورجلان عملة خاصة بهم، حيث أنهم كانوا يشترون الذهب من بلاد ونقازة ويخرجوه إلى دور ضرب السكة في بلادهم فيضربونه دنانير يتصرفون بها في التجارة والبضائع[3] وسنجد أن الامر الذي زاد من تخصص العملة بعد سقوط دولة بني رستم.[4]

2) التجارة الخارجية:

1. التجارة الخارجية مع المغرب والمشرق العربيين:

كانت الفعاليات التجارية بالمغرب في القرن الرابع هجري العاشر ميلادي كما صورها كتاب صورة الأرض نشطة وواسعة ومتنوعة تدر أرباحا كبيرة على تجارها، وأسباب هذا الانتعاش التجاري، النشاط الزراعي الذي كان يقوم بدور أساسي ومهم في نشاط الحركة التجارية، فقد كانت المنتجات الزراعية في مقدمة السلع هذه الحركة، وهذا ما أكد عليه ابن حوقل مرارًا عندما يربط بين إنتاج منطقة وأهلها التجار.[5]

قام الرستميون بدور بارز متفوق في مجال التجارة حيث لم تعق الخلافات السياسية والمذهبية بين الرستميين وجيرانهم حركة التجارة. وما أعطى الرستميين دفعة قوية في هذا المجال وقوع عاصمتهم تيهرت على طريقين من أشهر الطرق التجارية في ذلك الوقت طريق الشرق والغرب وطريق الجنوب والشمال. إذ هيأ لها ان تكون مركزًا لتبادل التجاري

[1]– بحاز: المرجع السابق، ص188.

[2]– عمار غرايسة: المرجع السابق، ص149.

[3]– مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص367، 368.

[4]– عمار غرايسة: المرجع السابق، ص151.

[5]– إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص184.

من بلاد السودان والمغرب والمشرق وسواحل البحر المتوسط.[1] ويروي ابن الصغير أنه في عهد الرستميون "استعملت السبل إلى بلد السودان وجميع البلدان من مشرق ومغرب لتجارة وضروب الأمتعة".[2]

2. مع العواصم العربية في المغرب والمشرق: (القيروان، فاس، سجلماسة وتنس):

يربط تيهرت بالقيروان عاصمة الأغالبة، واهم مركز تجاري بالمغرب العربي حيث ذكر ابن الفقيه هذا الطريق بإنجاز شديد مكتفيا بالإشارة إلى أن يستغرق مسير ثلاثين يومًا على الإبل[3] فاكتفى بالإشارة إلى أن بين القيروان وتيهرت ستة وثلاثون مرحلة مرورًا بمدينة سطيف[4] التي تعتبر واسطة بين العاصمتين.[5]

فإن الخارج من القيروان إلى تيهرت يمر على سيسة ومنها مجانة ومنها إلى مسكيانة ومنها إلى باغاية حيث يتفرع الطريق إلى فرعين[6] ويقول المقدسي: «بأن المسافة بين العاصمتين ثلاثون مرحلة عشرون إلى سطيف، ومن هذه إلى القيروان عشرة مراحل»[7] ويظهر أن هناك طريق آخر يربط تيهرت بالقيروان عبر مدينة ورجلان حيث يخرج من تيهرت إلى ورجلان إلى وادي الزاب إلى القيروان إذ هو الطريق الذي سلكه الإمام يعقوب الرستمي (282هـ- 895م/ 310هـ- 922م) عند مغادرته تيهرت فارا من الإمام أبي عبد الله الشيعي وكان هذا الطريق حافلا بالمتاعب والمصاعب.[8]

---

[1]- مجمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص239.

[2]- ابن الصغير: المصدر السابق، ص36.

[3]- عبد الكريم جودت يوسف: **الاوضاع**، ص203.

[4]- **سطيف:** مدينة كبيرة بين تيهرت والقيروان وهي حصينة ولها كورة تشمل على قرى كثيرة وعمارة متصلة، سكانها كتامة... للمزيد ينظر إلى: الإصطخري: المصدر السابق، ص20.

[5]- بحاز: المرجع السابق، ص186.

[6]- عبد الكريم جودت يوسف: **الاوضاع**، ص203.

[7]- المقدسي: المصدر السابق، ص247.

[8]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع:** المرجع السابق، ص208.

أما الطريق التي تربط بعاصمة الأدارسة فاس[1] فكان يخرج من تلمسان إلى العلويين ومنها تمالة ثم قالوسن ومنها إلى ناكور[2] ثم إلى فاس[3] ويذكر الإصطخري من جهته أن المسافة بين تيهرت وفاس خمسون مرحلة فإنها تقدر بخمسة وعشرون يوما إلى مدينة تلمسان ومن هذه إلى مدينة فاس أربعة وعشرون ليلة،[4] حيث يكون الطريق في غاية العمارة والزروع،[5] وعلى أية حال فإن الطريق الذي يربط تيهرت بالقيروان عبر مدينة ورجلان ويربط بلاد المغرب الأوسط بمدينة فاس،[6] ومن تيهرت بالعاصمة الصفرية بسجلماسة،[7] وكانت بلاد المغرب الأوسط ترتبط مباشرة بسجلماسة، "فذكر اليعقوبي أن" خرج من تيهرت سالكا الطريق بين القبلة والغرب إلى مدينة يقال لهما أزوكا ثلاث مراحل ومن مدينة أزوكا لمن سلك مغربا إلى أرض لزناتة ثم يسير إلى مدينة سجلماسة بعد أن يسير سبعة مراحل أو نحوها،[8] حسب الجد والتقصير في المسير فتلك إذا عشرة أيام تقريب تسلك في قرى غير أهله وبين أراض صحراوية فقراء.

ومن تيهرت إلى سجلماسة نحو خمسين مرحلة ويعبر من خلاله مدينة ناكور في أقصى شمال المغرب الأقصى ومنه نزولا نحو سجلماسة[9] هذا الطريق الذي ذكره المقدسي ويستغرق المسير فيه نحو خمسة وأربعين يوما، حيث أشار المقدسي فيما بعد إلى أن المسافة ثلاثون مرحلة تربط ناكور بتيهرت[10] ثم خمسة عشر مرحلة أخرى تربط

---

[1]– بحاز: المرجع السابق، ص189.

[2]– **ناكور**: على شاطئ البحر بمدينة كبيرة يعبر منها أيضا إلى بجانب وهي مدينة حصينة خصبة، للمزيد ينظر: أبو إسحاق الكوفي الإصطخري: المصدر السابق، ص38.

[3]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص208.

[4]– الاصطخري: المصدر السابق، ص 37.

[5]– بحاز: المرجع السابق، ص190.

[6]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص208.

[7]– بحاز: المرجع السابق، ص190.

[8]– اليعقوبي: المصدر السابق، ص 395.

[9]- بحاز: المرجع السابق، ص190.

[10]– المقدسي: المصدر السابق، ص207.

سجلماسة بناكور.[1] أما اتصال تيهرت بالأندلس فيتم ذلك بركوب البحر وقد مر بنا ان تيهرت تنفذ إلى البحر من ميناء تنس[2]،[3] أما الطريق البحري فوسيلة تلك المراكب التي تسرح وتمرح ذهابًا وإيابًا بين موانئ بلاد المغرب الأوسط وموانئ بلاد الاندلس، فيذكر اليعقوبي «أن من أراد جزيرة الأندلس ركب البحر من تونس مسيرة عشرة أيام» سحلًا غير موغلًا حتى يحاذي جزيرة الاندلس في موضوع يقال تنس بينه وبين تيهرت مسيرة أربعة أيام او سار إلى تيهرت يوافي الجزيرة جزيرة الأندلس ، فيقطع البحر في يوم وليلة حتى يصير إلى بلد تدمير[4]،[5] وهي اقرب المدن على الساحل الاندلسي، ثم يشير ابن الفقيه أن الطريق من تدمير إلى قرطبة مسيرة عشرة أيام.[6] ونلاحظ من ميناء تنس في المغرب الأوسط يقوم بدورين رئيسيين في وقت واحد يستفيد منه كل من الرستميين والأغالبة[7] ويذكر المقدسي ميناء جزيرة بني مزغنة فهي على ساحل البحر مسورة يعبر منها الأندلس ويذكر ميناء وهران «يقلعون منها إلى الأندلس في يوم وليلة».[8]

ومن هنا تبعد تيهرت عن هذا الميناء بحوالي أربعة أيام يربطها به مسلك يتخلل الحقول والانهار. ويذكر اليعقوبي أن لمدينة ميلة مرسى يقال له "جيجل ومرسى يقال له سكيكدة..." ويضيف بخصوص تيهرت أن "الذي على ساحل البحر الأعظم ترسى به

---

[1]– بحاز: المرجع السابق، ص192.

[2]– **تنس:** مدينة عليها سور ولها أبواب عدة، وبعضها على جبل قد احاط به السور، وبعض في سهل وهي من البحر نحو ميلين على واد كثير الماء وشربهم منه وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرتهم وينهضون منها إلى ما سواها ومراصد على المتاجر الداخلية، للمزيد ينظر إلى: ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

[3]– بحاز: المرجع السابق، ص191.

[4]– **تدمير:** هي بلد واسع عامر فيه مدينتان يقال إحداهما العسكر والأخرى الورقة، في كل واحدة موضع ثم يخرج منه المدينة التي يسكنها المتغلب من بني أمية. للمزيد ينظر إلى: اليعقوبي: المصدر السابق، ص70.

[5]– اليعقوبي: المصدر السابق، ص70.

[6]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع** ، ص208.

[7]– بحاز: المرجع السابق، ص191.

[8]– المقدسي: المصدر السابق، ص208.

مراكب تيهرت يقال له مرسى فروخ" بالإضافة إلى ميناء تنس، فإن مدينة تلمسان تربط ميناء وهران وميناء أرشكول،[1] ومن مرسى فروخ يمكن لتيهرت أن تستفيد منه لقربه من جهة، ومن جهة أخرى لأنه مرسى الشتوي المأمون في حين ان مرسى تنس صيفي، وبها معًا يستطيع التجار في المغرب الاوسط الاتصال بنظائرهم من تجار الأندلس صيفًا وشتاء.[2]

فالتجارة مع المشرق العربي[3] تكون من ابتداء من الحدود الشرقية للدولة الرستمية فالقوافل[4] التي تأتي من بغداد والبصرة إلى بلاد المغرب تمر بالأنبار وهيت والرقة وحران والرهي وتل موزن وحلب ودمشق وطبرية والرملة والفسطاط والاسكندرية ومنها إلى برقة[5،6] فحدود الدولة الرستمية وربما تقصد القيروان عن طريق طرابلس[7،8] وبما أن المسافة بين برقة وطرابلس عشرين مرحلة ومن طرابلس إلى القيروان مثلها،[9] وتمر عليها خاصة إذا كانت لا تقصد سوقا بعينه وإنما تستفيد من كل الأسواق التي تمر عليها في طريقها وهدفها الربح المستمر.[10]

---

[1]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص206.

[2]- بحاز: المرجع السابق، ص192.

[3]- مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص312.

[4]- بحاز: المرجع السابق، ص193.

[5]- **برقة:** مدينة وسطية ليست كبيرة وحوليها كورة عامرة كبيرة في مستوى الأرض خصبة ويطيف بها من كل جانب بادية يسكنها طوائف من البربر وقد كان يخرج إليها عامل من مصر... للمزيد ينظر إلى: الاصطخري: المصدر السابق، ص37.

[6]- محمود إسماعيل: **الأغالبة سياستهم الخارجية (184- 296هـ)**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د م، ط 2، 2000م، د ج، ص59.

[7]- **طرابلس:** ويقال له المغرب الأدنى ما عدا برقة وافريقية وفتحت في خلافة عمر ومن أقاليمه مزدنة وزالة وزويلة وودان وجرمة وغدامس واسمها القديم Gydams وهذه من إقليم فزان. للمزيد ينظر إلى: أمين واصف بك: **معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية**، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د ط، د س، د ج، ص110.

[8]- بحاز: المرجع السابق، ص193.

[9]- الاصطخري: المصدر السابق، ص23.

[10]- مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص312.

ولم يتوقف الأمر هنا في مساهمة الرستميون في النشاط التجاري وإنما كانت لهم قوافلهم الخاصة المتجهة إلى بلاد المشرق أو القادمة منها[1] حيث كانت مصر معجبة بالدولة الرستمية ونشاطها، وفتحت لها ذراعيها فتدفقت قوافلها التجارية إليها[2] علاوة على ذلك كانت تيهرت مركزا تجاريا داخليا تلتقي فيه القبائل البدوية بتبعية ماشيتها وتشتري ما تحتاجه من أسواق تيهرت من الحبوب والتمور والبضائع المستوردة من المشرق والاندلس وبلاد السودان.[3] وجدير بالذكر ان الأسرة الرستمية في تيهرت قامت بدور الوسيط بتجارة المشرق المختلفة بواسطة طرق تجارية مختلفة وإقامتها لعلاقات تجارية مع مسلمي الشرق[4] حيث فتح الرستميون أبواب مدينتهم تيهرت أمام تجار المغاربة والأندلسيين والمشارقة على حد السواء.[5]

3) الصادرات والواردات:

إن الحركة التجارية في الدولة الرستمية كانت كبيرة جدًا، وإن التبادل كان ضخمًا بحيث أن بضائع تيهرت المتنوعة تتجه نحو مختلف الآفاق وبضائع المغرب والمشرق تنفد باستمرار على أسواق البلاد.[6] إن بضائع المغرب الأوسط التي يتم التبادل بها بين دول المغرب العربي فإن صادرات الدولة الرستمية كانت بالدرجة الأولى تعتمد على الإنتاج فقد كانت حبوب تنس تخرج منها إلى الآفاق في المراكب.[7]

---

[1]– بحاز: المرجع السابق، ص194.

[2]– محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص314.

[3]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص233.

[4]– محمد رينجر ويحي بوعزيز وآخرون: **تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19**، المنظمة العربية للتربية، بغداد، د ط، د ج، ص31.

[5]– عبد العزيز فيلالي: **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، دار الفجر للنشر، القاهرة، ط2، 1999م، د ج، ص 103.

[6]– بحاز: المرجع السابق، ص197.

[7]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص215.

وبعض دول المغرب[1] مثل القيروان وإفريقية،[2] ويوضح صاحب كتاب الاستبصار على الأغنام التي كانت تجلب من تيهرت: «تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحمها»[3]، والغالب على مذاهب أهل المغرب كلهم مذاهب أهل الحديث وكانت المذاهب المغربية بصفة عامة كما ذكرها الاصطخري: « يقع من المغرب الخدم السود من بلاد السودان والخدم البيض من الأندلس والجواري المثمنات، تأخذ الجارية والخدم من غير صناعة على وجهيهما بألف دينار أو أكثر، وتقع منها اللبود المغربية والبغال السرج والمرجان والعنبر والذهب والعسل والزيت والسفن والحرير والسمور»[4] فأما ما يجهز من المغرب إلى المشرق ومن ما ذكرت من ملوك المشرق وأمرائه «والغلمان الروقة والعنبر والحرير والاكسية والصوف الرفيعة والدنية إلى جباب الصوف وما يعمل منه والانطباع والحديد والرصاص والزئبق، وما لديه من ماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص فعلى غاية الرخص في الاطعمة والأغذية والأشربة واللحوم والادهان، ولهم من جيد الفواكه والتمور والأرطاب وسائر الأغذية وعندهم من الجمال الكثيرة في براريهم وسكان صحاريهم التي لا تدانيها في الكثرة إبل العرب»،[5] فالموز الذي اشتهرت به مدينة قابس إحدى السلع التي استوردها بلاد المغرب الأوسط وكذلك الفستق الذي اشتهرت به مدينة قفصة ومن هنا يذكر المقدسي البضائع الإفريقية: «الفستق والزعفران واللوز والبرقوق والمزاود والأنطاع والقرب»[6] حيث ان الرحالة لا يشيرون إلى زراعة الموز والفستق في بلاد المغرب الاوسط هذا إلى جانب بعض مصنوعات ولاية

---

[1]– بحاز: المرجع السابق، ص198.

[2]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص216.

[3]– مؤلف مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**. تح: زغلول: دار النشر المغربية، المغرب الاقصى، د ط، 1952، د ج، ص198.

[4]– الاصطخري: المصدر السابق، ص24.

[5]– ابن حوقل: المصدر السابق، ص95.

[6]– المقدسي: المصدر السابق، ص299.

إفريقية مثل الآلات...إلخ[1] وكذلك يشير ابن حوقل من هذه المدينة «الحجارة المجلوبة بالمطاحن بجميع المغرب»،[2] إن هذه البضائع المغربية كانت تتبادل بين العواصم في المغرب العربي يستورد منها تجار الدولة الرستمية ما تفتقر إليهم أسواقهم ويصدّرون منها ما يفيض على حاجة السكان، فكان التكامل الاقتصادي هو السائد بين سكان المغرب.

إن أبرز بضاعة كانت الدولة الرستمية تستوردها هي الكتب لكثرة قرائها وعلمائها،[3] وذكر بعض أصحابنا ان عبد الوهاب بعث ألف دينار إلى إخوانه من اهل المشرق بالبصرة أن يشتروا له بها الكتب فلما وصلهم الألف اجتمعوا واتفقوا أن يشتروا بها رقا ويجعلوا من أنفسهم العبر والأرقام وعولة الكتاب واخذوا من النسخ فنسخوا له أربعين حملة من الكتب فبعثوا بها إليه، فلما جاءته فنشرها وقرأها حتى أتى على آخرها بإجماعها فقال: «الحمد لله ليست منها مسألة ليست عندي...»[4] إن هذه الرواية رغم طابعها الفكري المتميز نلاحظ منها جانبها الاقتصادي البارز ومدى العلاقة التجارية والفكرية القوية بالمشرق عامة وبالبصرة خاصة.[5]

كانت أبرز العلاقات التجارية في عهد الرستميين قائمة بينهم وبين الأمويين في الأندلس،[6] حيث كانت الدولة الرستمية بمثابة جسر يوصل حكام قرطبة وتجارها بالمشرق لا سيما في الوقت الذي أغلقت امامه الطرق المؤدية إلى كل من إفريقية والمغرب الأقصى،[7] حيث قامت بين الرستميين والأمويين في الأندلس علاقات ودية لأن العباسيين الذين كانوا يحاربون بني أمية في الأندلس كانوا أيضا أعداء الإباضية في تيهرت وقامت

---

[1]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص216.

[2]– ابن حوقل: المصدر السابق، ص84.

[3]– بحاز: المرجع السابق، ص199.

[4]– أبو زكرياء: المصدر السابق، ص65.

[5]– بحاز: المرجع السابق، ص203.

[6]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص233.

[7]– بحاز: المرجع السابق، ص203.

بين قرطبة وتيهرت علاقة تجارية وكانت السفن تتردد بين وهران والمرية وكانت تيهرت تضم جالية كبيرة من أهل الأندلس،[1] ويبدو أن حركة التجارة بالمنطقة الساحلية الغربية بالمغرب الأوسط كانت أقوى وأنشط في المنطقة الساحلية الشرقية وذلك لارتباط هذه المنطقة بالأندلس وسهولة التنقل إليها بالرغم من الاختلافات السياسية الحادة أحيانا، فإن المجال الاقتصادي ظل مفتوحا لسكان المغرب الأوسط والأندلس والعالم الإسلامي فتجار الأندلس مثلا ظلوا في حركة دائبة جيئة وذهابا كما يقول ابن حوقل عند تعرضه لحاضرة تنس.[2] حيث كانت سفن الأندلس تصل إلى موانئها بتنس ومستغانم ووهران مشحونة بالبضائع الأندلسية فتفرغها وتحمل منتجات البلاد الرستمية من منتوجات صوفية ومن العاج ومن الجلود،[3] وكانت أهم البضائع التي يصدرها الرستميون إلى الاندلس الحبوب ولاسيما الحنطة والعبيد وماشية اللحوم.[4] إن عملية تصدير الرجال العبيد من جاو إلى تيهرت لينقلوا من هناك إلى بلاد قرطبة،[5] فقد كانت حبوب تنس "تخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب"[6] ومن هنا يروي بروفنسال: "أن الخليفة الأموي عبد الرحمان الثاني حرص كثيرا على صداقة الرستميين لضمان إمدادات الحبوب والسلع الرستمية لرعاياه"[7] وكانت تيهرت تجلب من الاندلس قصب السكر، الكتان والقطن الجيد،[8] وكذلك الزيت الذي تنتجه منطقة النهر الاعظم وخصوص الشرق الواقعة في شمال إشبيلية،[9] وكذلك

---

[1]– عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص175.

[2]– إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص187.

[3]– عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص191.

[4]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص231.

[5]– جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات**، ص245.

[6]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص215.

[7]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص234.

[8]– بحاز: المرجع السابق، ص204.

[9]– موريس لومبار: **الإسلام في مجده الأول**. تح: إسماعيل العربي: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1975، د ج، ص243.

استوردت من الأندلس الحديد والزئبق واللازورد والياقوت الأحمر، ويوجد في تدمير الكبريت ومنه يحمل إلى الآفاق.[1] حيث أن التجار التيهرتيين كانوا يستوردون الورق من مدينة شاطبة،[2] وقد استوردت سلعا أخرى لعبت فيها الاندلس دور الوسيط وهي سلع تأتي من بلاد أوربا،[3] وهم الخدم المجلوبون من أرض الصقالبة على الاندلس،[4] والروم، وجلود الخز والوبر والفراء والسمور والسيوف وغيرها.[5] وقد منح الرستميون التجار الأندلسيون كثيرا من التسهيلات ففي أثناء رحلاتهم هيأوا لهم سبل الإقامة، والعمل في أسواق تيهرت وحوانيتها، حتى أن بعض هؤلاء التجار فضّل الإقامة في تيهرت، بينما كان البعض الآخر يعمل في نقل المتاجر بين البلدين.[6]

ولقد استفاد الاندلسيين من هذه التجارة إضافة إلى باقي الدول الإسلامية في المغرب والمشرق.[7]

4) التجارة مع السودان الغربي: اعتمد الرستميون على التجارة البرية مع السودان،[8] كان العرب أول من أطلق كلمة السودان على الشعوب السوداء التي تسكن وراء الصحراء الكبرى.[9] بلاد السودان شرقها مملكة غاواوة ويستمر غربا حتى مملكة ولاتة وتناخم بلاد السودان من الشمال صحراء ليبيا وتنتهي بلاد السودان جنوبا في أمكنة نجهلها ولكن نملك عنها معلومات جديدة استقيناها من تجار هذه المناطق إلى مملكة تنبوكتو ويمر من اواسط بلاد السودان نهر النيل وأجمل بلاد السودان هي تلك التي تمتد

---

[1]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص222.

[2]– بحاز: المرجع السابق، ص205.

[3]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص223.

[4]– ابن حوقل: المصدر السابق، ص95.

[5]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص223.

[6]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص234.

[7]– بحاز: المرجع السابق، ص205.

[8]– عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص157.

[9]– بحاز: المرجع السابق، ص206.

على طول نهر النيجر[1] والسودان في الواقع تسمية عامة لذلك اصطلح على تقسيمة إلى ثلاث مناطق وهي:

- **أولا السودان الشرقي:** وهو يشمل مناطق النيل وروافده جنوب بلاد النوبة،[2] وربما أطلق عليه لفترة متأخرة بلاد الزنج، ولكن كلمة السودان كانت تلازمنا.[3]
- **ثانيا: السودان الاوسط:** ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة التشاد.[4]
- **ثالثا: السودان الغربي:** ويشمل كل ما عدا ذلك غربا إلى المحيط الاطلسي،[5] مثل النيجر الأوسط وفولتا العليا وغامبيا وحوض السنغال،[6] والصحراء الكبرى شمالا، وبحيرة التشاد شرقا وخليج غانا جنوبا على حدود خط عرض 10 شمال خط الاستواء.[7]

وفي عهد الدولة الرستمية كانت تقوم في بلاد السودان الغربي والأوسط أكثر من دولة. مملكة غانة في السودان الغربي ونخلة في السودان الأوسط،[8] إن ارتباط الإباضية الأقوى بالسودان كان عبر طريق الاوسط في الصحراء الكبرى، ويمر عبر الواحات الجزائرية التي تمتد من مسافة ألف ومئتي كيلومتر إلى الجنوب وعلى هيئة شريط أخضر يمثل طريقا طبيعيا بين أمصار المغرب الاوسط ومرتفعات الحجاز،[9] وفي خلال القرن

---

[1]– حسين بن محمد الوزان الذباني: **وصف إفريقيا**، المملكة العربية السعودية، الرياض، د ط، 1399، د ج، ص37، 38.

[2]– عبد القادر زبادية: **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1996، د ج، ص4.

[3]– صالح معيوف: المرجع السابق، ص50.

[4]– عبد القادر زبادية: المرجع السابق، ص4، 5.

[5]– صالح معيوف: المرجع السابق، ص52.

[6]– بحاز: المرجع السابق، ص206.

[7]– يحي بوعزيز: **تاريخ إفريقية الغربية الإسلامية**، دار هومة، الجزائر، د ط، 2001، د ج، ص3.

[8]– صالح معيوف: المرجع السابق، ص52.

[9]– أحمد إلياس حسين: المرجع السابق، ص27.

2هـ و5هـ لعبت القوى السياسية في المغرب دورا كبيرا في تشجيع تجارة القوافل الصحراوية لتجار العرب المسلمين مع بلاد السودان الغربي، فتيهرت لعبت دور الوسيط لتجارة الصحراء والسودان وأن الشيء الاكثر أهمية هو ارتباط تيهرت مع الممالك السودانية جنوبي الصحراء وعبر الطرق التجارية الصحراوية.[1] حيث أكد الشيخ البكري على هذا الاتصال وذكر أن تيهرت اتجهت نحو الجنوب حيث لا يوجد حدود جغرافية ولا سياسية وأن حركة الذهاب والإياب بين تيهرت والسودان كانت مستمرة.[2]

ومنذ فترة مبكرة في العصور الإسلامية ترجع إلى القرن الثاني هجري.[3] فإن رواية ابن الصغير عندما يتحدث عن استعمال السبل إلى بلد السودان وهي كما يرويها ابن الصغير: "استعملت السبل الى بلد السودان وإلى جميع بلد السودان من مشرق ومغرب بالتجارة"،[4] فإن هذه الرواية اهم وأقدم وراية وصلتنا عن العلاقة بين المسالك السودانية، كما تظهر الصلات بين تيهرت والسودان فذكر "قد استعملت السبل إلى بلاد السودان" يبدو أنه قد تأثر بابن الصغير فأخذ عنه عبارته حرفيا.[5] وإمارة تيهرت لم تشر صراحة إلى أية واحدة من تلك المسالك السودانية التي ارتبطت تيهرت بعلاقة تجارية معها.[6] ويذكر بحاز عن رواية ابن الصغير بأنه يقصد بذلك دولة غانة[7] في السودان الغربي

---

[1]– محمد رينجر ويحي بوعزيز وآخرون: المرجع السابق، ص81.

[2]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص234.

[3]– محمد رينجر ويحي بوعزيز: المرجع السابق، ص31.

[4]– ابن الصغير: المصدر السابق، ص36.

[5]– محمد رينجر ويحي بوعزيز وآخرون: المرجع السابق، ص81.

[6]– سليمان الباروني: المرجع السابق، ص91.

[7]– **غانة:** تأسست مملكة غانا حوالي عام 300 هجري استمدت اسمها من عاصمتها القديمة غانا واتسعت رقعتها بمرور الزمن وكانت عاصمتها الأولى أوكور الرملي جنوب موريطانيا الحالية (كومبي صالح)، للمزيد ينظر إلى: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص21.

لأهميتها،[1] حيث أشار ترمنغهام إلى ان أئمة تيهرت قامت لهم علاقة تجارية مع السودان[2] فإن المستشرق لوسيكي يعتقد بأن اتصالات حكام تيهرت الإباضية لابد أن تكون مع الممالك القوية جدا فب غرب إفريقية وبخاصة مع مملكة غانة المعاصرة لمملكة تيهرت.[3] ويبدو أن محاولة الرستميين لتوثيق العلاقة مع ملك غانة، تندرج في إطار الاهتمام الرستمي للتجارة مع بلاد السودان ومكملة لتوثيق علاقتهم بسجلماسة بزواج أروى ويعود هذا الاهتمام إلى الامتداد الشاسع لإمبراطورية غانا، بمعنى سيطرة ملك غانا على مراكز تجارة السودان الغربي.[4]

فمملكة غانة مملكة عظيمة وبها معدن الذهب،[5] وبخصوص ملك غانة أن أفضل الذهب في بلاده[6]، ويذكر إلى جانب مملكة غانة مملكة كوكو[7] وجوجو ويقول عنها بأنها: «أعظم ممالك السودان وأجلها قدرا وأعظمها أمرا»[8] وكان ملك كوكو في عهد الدولة الرستمية قويا حيث هيمن على جميع الممالك المجاورة لمدينته.[9] حيث تقع كوكو شمال السودان على شاطئ النيل وكان شعب كوكو أكثرهم مسلمون،[10] أما في السودان الاوسط فتنصب مملكة نخلة جنوب بحيرة تعرف اليوم ببحيرة التشاد،[11] والتي تقع في شمالها بلاد

---

[1]– بحاز: المرجع السابق، ص206.

[2]– جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات**، ص234.

[3]– محمد رينجر ويحي بوعزيز وآخرون: المرجع السابق، ص31.

[4]– جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص234.

[5]– بحاز: المرجع السابق، ص208.

[6]– جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات**، ص240.

[7]– مدينة **كوكو** على ضفة الخليج وذكر قوم آخرون أنها على نهر يمر على النيل وان ملك مدينة كوكو... للمزيد ينظر إلى: الإدريسي: **المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**: د ن، كيدن، د ط، د س، د ج، ص11.

[8]– بحاز: المرجع السابق، ص210.

[9]– صالح معيوف: المرجع السابق، ص54.

[10]– محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص309.

[11]– بحاز: المرجع السابق، ص210.

الكانم[1] القريبة من مملكة كوار التي كان يربطها ببلاد المغرب طريق شرقي يعتبر أقصر طريق إلى بلاد السودان وباعتبار كوار هي آخر نقطة في الفتح الإسلامي.[2]

- **مسالك التجارة مع السودان:** تربط الدولة الرستمية بالممالك السودانية (غانا، كوكو) بواسطة أربع مسالك من العاصمة تيهرت طريقين ومن جبل نفوسة شرق الدولة طريقين.

أ- **الطريق من تيهرت إلى سجلماسة إلى أودغست إلى غانا:**[3] ينطق هذا المسلك من تيهرت إلى سجلماسة[4] أولى مراحله وقد سبق أن ذكرنا وقلنا أن المسير قد يستغرق عشرة أيام،[5] فإن هذا الطريق تهيمن عليه الدولة الرستمية،[6] تعتبر سلجماسة نقطة انطلاق حقيقية لعدد كبير من القوافل عبر الصحراء إلى بلاد السودان،[7] فكانت القوافل تجتاز المغرب إلى سجلماسة،[8] ويبدو أن عبد الرحمان بن رستم وطد علاقته بأمراء بني مدرار الصفرية وذلك بزواج أروى حتى يقترب من الأسرة الحاكمة،[9] وعندما تغادر القافلة التجارية سجلماسة إلى الجنوب ونواحي فزان ففيه مياه عليه من قبائل البربر حيث تتوغل في الصحراء مقدار خمسين يوما.[10] وقد

---

[1]- **الكانم:** تقع في المنطقة المحيطة ببحيرة التشاد ونهر الكانوري والتي تشملها اليوم جمهورية التشاد، ينظر إلى: فيج جي دي: **تاريخ غرب إفريقية**. تر: يوسف نصر، د ن، مصر، ط1، 1982، د ج، ص 62.

[2]- صالح معيوف: المرجع السابق، ص54.

[3]- بحاز: المرجع السابق، ص210.

[4]- **سجلماسة:** مدينة على نهر يقول له زير وليس بها عين ولا بئر وبينها وبين البحر عدة مراحل وأهمها أخلاط والغالبون عليها بربر وأكثرهم صناهجة وزرعم الدخن والذرة وخولها المعادن: الذهب والفضة. للمزيد ينظر إلى: اليعقوبي، المصدر السابق، ص37. والاصطخري: المصدر السابق، ص20.

[5]- بحاز: المرجع السابق، ص210.

[6]- عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص103.

[7]- بحاز: المرجع السابق، ص211.

[8]- ابن حوقل: المصدر السابق: ص65.

[9]- جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات**، ص240.

[10]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص84.

لعبت أودغست دور المركز التجاري الهام،[1] ومن سجلماسة إلى أودغست شهران المغرب فتقع محاذاة عن السوس الاقصى كأنها مع سجلماسة مثلث طويل الساقين، أقصر أضلاعه من السوس إلى أودغست، ومن أودغست[2] إلى غانة بضعة عشرة يوما بالمفردة،[3] ومن مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين،[4] وإن علاقة تيهرت بأودغست إلى حين سقوط تيهرت فمن أودغست إلى تامدلة على ما ذكرناه أيضا ذلك أربعون مرحلة ومن تامدلة إلى سجلماسة إحدى عشرة مرحلة وبذلك واحد وخمسون مرحلة،[5] ومما يوحي أن أودغست كانت مركزا تجاريا هاما يؤمه الرستميون وتجارهم من الإباضية بكثرة،[6] ويذكر عنها البكري «أودغست هو بلد قائم العمارة، مدينة كبيرة فيها أسواق... أشجار الحناء»، ويذكر البكري سكان أودغست: «سكانها أهل إفريقية وبرقجانة ونفوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة...»،[7] وإن حاجة ملوك غانا إلى أودغست من أجل الملح الخارج إليها من ناحية الإسلام، فإنه لا قوام لهم إلا به، وربما بلغ الحمل في دواخل بلد السودان وأقاصيه، ما بين مئتين إلى ثلاثمئة دينار.[8]

---

[1]– بحاز: المرجع السابق، ص212.

[2]– **أودغست:** مدينة لطيفية أشبه ببلاد الله مكة وهي مدينة كبيرة أهلة رملية يطل عليها جبل كبيرموت لا ينبت شيء بها. للمزيد ينظر إلى: البكري: المصدر السابق، ص58، 59.

[3]– ابن حوقل: المصدر السابق: ص91.

[4]– البكري: المصدر السابق، د ج، ص149.

[5]– ابن حوقل: المصدر السابق: ص91.

[6]– بحاز: المرجع السابق، ص213.

[7]– البكري: المصدر السابق، ص168.

[8]– ابن حوقل: المصدر السابق: ص68.

ب- **من تيهرت إلى ورجلان إلى تادمكة- كوكو:** ينطلق هذا المسلك من تيهرت إلى ورجلان،[1] فيمر بواحة وادي ريغ[2] (تقرت[3] حاليا)،[4] أما المسافة التي تفصل تيهرت عن المسيلة فيُقدرها بن حوقل بـ 06 أيام،[5] يفصل بين مدينتي المسيلة وورجلان مسيرة اثني عشر يوما مرورا بوادي ريغ، فالتيهرتيون يأخذون هذا المسلك القريب للوصول إلى ورجلان ثم إلى كوكو،[6] ونشير هنا أن خطا يربط ورجلان بسجلماسة، وتعرف عنه سوى أن عبيد الله سأل عن أهل ورجلان فيقبل له غيار أين منزله... قال فخرج من ورجلان إلى سجلماسة وأقام بها مدة طويلة... وكان الوالي على سجلماسة يقال له اليسع بن مدرار... فمكث عبيد الله في سجلماسة زمنا طويلا،[7] وقد سلكها أبو عبيد الله الشيعي في نهاية القرن الثالث هجري.[8] إن ورجلان المسلك الرئيسي للتوجه إلى بلاد السودان حيث بلاد كوكو، ويقول ابن خلدون عن الدور البارز في القرن التاسع هجري عن ورجلان إذ يقول: "وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر... إلى المغارة الصحراوية المفضية إلى بلد السودان، يسكنها التجار

---

[1]- **ورجلان:** تحتل ورجلان موقعا جغرافيا استراتيجيا هاما كونها تقع في مفترق طرق لشمال الصحراء وبوابة لها ومحطة لقوافل تجارية. للمزيد ينظر إلى: مولاي بلحميسي: **مدينة ورقلة في رحلة العياشي**، مجلة الأصالة، العدد41، ص60.

[2]- **وادي ريغ:** يقع في الشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية في منخفض مستطيل الشكل، طوله حوالي 160 كيلومتر وعرضه يتراوح بين 30 و40 كلم يبدأ شمالا من عين الصفراء. للمزيد ينظر إلى: معاذ عمراني: **أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19 و20م**، دراسة اجتماعية، (رسالة لنيل الماجستير)، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، م، ص8.

[3]- **تقرت:** في الجنوب الشرقي تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 620كلم واسم تقرت البهجة مشتقة ومنسوب لإمارة جميلة سكنتها جاءت من منطقة اسمها أورت من ناحية الغرب. للمزيد ينظر إلى: معاذ عمراني: المرجع السابق، ص9.

[4]- بحاز: المرجع السابق، ص215.

[5]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص86.

[6]- بحاز: المرجع السابق، ص215.

[7]- أبو زكرياء: المصدر السابق، ص109.

[8]- بحاز: المرجع السابق، ص215.

الداخلون إليها بالبضائع"[1] ومنها يتوغل في الصحراء ومن ثم إلى كوكو،[2] فتادمكة كانت تشمل مفترق طرق بعضها كان يؤدي كاكو ومرحلته تسعة أيام، الطريق الثاني إلى غانة وبعدمها إلى مالي وإلى توات وإلى ورقلة وإلى القيروان[3]... ويصف لنا الإدريسي ورجلان «قبائل مياسر وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد ونقارة فيخرجون منها البتر ويضربون في بلادهم باسم بلدهم وهم وهبية إباضية».[4]

وهناك طريق ثان يربط بلاد المغرب الاوسط في بلاد السودان، فالمسافرين يصلون واد الزاب ومنها يتجهون إلى ورجلان ثم إلى تادمكة مرورا بمنطقة أدرار، أفقاص ومن ثم جاو، كوكو، جوجو يستفاد مما ذكره الإدريسي أن المسافة بين واد زاب وورجلان ثمان مراحل وأن المسافة بين ورجلان وتادمكة مسيرة خمسين يوما. لم يضف ان المسافة بين تادمكة[5] وكوكو تسعة مراحل، أي أن المسافة بين واد الزاب وجاو تبلغ سبع وستون مرحلة، إذا اعتبرنا المرحلة مسيرة يوم،[6] إن القوافل المتجهة نجو الجنوب إلى بلاد كوكو ومنطقة شمال نهر النيجر ويتم التوقف في عدة مرات في محطات استراتيجية وأهم تلك المحطات تادمكة ومنها يبدأ التجار بالاستعداد لدخول بلاد السودان.[7]

بالإضافة إلى أن تجارة ورجلان الخارجية أكثر نشاطا مع بلاد السودان التي استكثرت بحركة القوافل حيث شكلت ورجلان منفذا رئيسي بين التل في المغرب الأوسط، وهو ما

---

[1]– ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص107.

[2]– بحاز: المرجع السابق، ص216.

[3]– صالح معيوف: المرجع السابق، ص58.

[4]– الإدريسي: المصدر السابق،89.

[5]– **تادمكة:** تعرف هذه المدينة باسم تادمكة تقع شمال شرق غاو وبها سوق كبيرة تقام كلما حلت قوفل شمال إفريقية. للمزيد ينظر إلى: البكري: المصدر السابق، ص181.

[6]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص240.

[7]– إلياس بن عمر حاج عيسى: **ورجلان دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (4– 10هـ/ 10– 16م)**، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، 1431هـ/2010م، الجزائر، 2009، ص78.

جعلها مركز شبكة العنكبوت، فمنها تنطلق القوافل نحو الصحراء الكبرى، لم تكن الحركة التجارية ذات اتجاه واحد حيث إنها قائمة على التبادل التجاري.[1]

- **الصادرات والواردات:**

أ-صادرات الدولة الرستمية إلى بلاد السودان:

كانت أشهر السلع التي تقلها الرستميون إلى بلاد السودان[2] ويستعملونها في تجارتهم ويستبدلونها ببضائع السودان، حيث تأتي الحبوب والتمور في مقدمة ما يمكن التجار المغاربة نقله إلى بلاد السودان،[3] وأضاف الإدريسي "أنه ليس في بلاد شيء من فواكه رطبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب ويجلبه إليهم أهل ورجلان"[4] وهكذا فإن تمر واد الزاب قد وصل إلى السودان، وإلى جانب ذلك المنسوجات الصوفي والكتانية والحريرية والقوارير الزجاجية والأواني الخزفية البراقة والملونة،[5] وكان السودانيين يلبسون الجلود، حيث كانت هذه الجلود زوبلية وغدامسية،[6] وغلى جانب ذلك الاسواق والتحف المعدنية والأفاوية والعطور.[7] بالإضافة إلى ذلك الفواكه التي يمكن تجفيفها كالزبيب والتين،[8] وقد كان الملح مادة هامة للتصدير وكان قيما في بلاد السودان،[9] فذكر ابن حوقل حاجة ملوك غانة إلى ملوك أودغست من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام فإنهم لا قوام لهم إلا به وربما بلغ الحمل الملح في دواخل بلاد السودان واقاصيه... ويظهر أن المصنوعات النحاسية كانت من بين الصادرات إلى بلاد

---

[1]- عمار غرايسة: المرجع السابق، ص115.

[2]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص234.

[3]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص218.

[4]- الإدريسي : المصدر السابق: ص88.

[5]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص234.

[6]- بحاز: المرجع السابق، ص224.

[7]- محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص234.

[8]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص219.

[9]- ابن حوقل: المصدر السابق، ص93.

السودان، وكانت على شكل قضبان بطول سبعون سنتيمتر ووزنه رطل تقريبا، وربما تجلب الحنطة إلى أهل زغاوة من بلاد ورجلان وغيرها وبما ان المغرب الاوسط يشتهر بهذه الحبوب فربما كانت تلك الحنطة يحملها تجار هذه البلاد،[1] فالسودان بلدان عريضة إلا أنها فقراء قفشة جدا ولهم في الجبال ولهم عامة ما يكون في بلاد الإسلام من الفواكه إلا أنهم لا يطعمونه ولهم أطعمة يتخذون بها من فواكه ونبات وغير ذلك مما لا يعرف في بلدان الإسلام.[2]

ب- الواردات:

إن التجارة مع بلاد السودان تقوم على أساس المقايضة وتقايض السلع المودعة على عين المكان مقابل منتجات البلاد،[3] فإنهم كانوا يجلبون من هناك بعض الأحجار الثمينة الشب،[4] وريش النعام، وغيرها،[5] كانت القوافل المتجهة إلى بلد السودان تعود محملة بسلع مختلفة،[6] منهل الذهب حيث ظل الذهب سلعة ذات أهمية في منتصف القرن التاسع عشر ولو أن تلك المنزلة باءت تتضاءل تدريجيا حتى انتهت تماما خلال العقد الأخير منها،[7] حيث كانت تجارة الذهب والرقيق أهم بضاعة يخرج من أجلها الإباضي،[8] ومهما يكن من شيء فإن التجارة في الرقيق كانت أهم القطاعات التجارية في العالم الإسلامي،[9] وقد كان الذهب من أشهر السلع التي نقلها الرستميون من بلاد

---

[1]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص218.

[2]- الاصطخري: المصدر السابق، ص20.

[3]- عمار غرايسة: المرجع السابق، ص153.

[4]- بحاز: المرجع السابق، ص226.

[5]- البكري: المصدر السابق، ص183.

[6]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص224.

[7]- روبن هاليت، تر: هادي بولغمة، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، منشورات جامعة قارينسوا، بنغازي، د ط، 1988، د ج، ص403.

[8]- بحاز: المرجع السابق، ص226.

[9]- موريس لومبار: المرجع السابق، ص290.

السودان.[1] ويعد الذهب أهم بضاعة تصدر إلى حواضر شمال الصحراء كالتوات وورجلان من القرن الرابع الهجري/ العاشر ميلادي إلى غاية القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي، ومصدره منطقتي ونقارة وغياروة،[2] حيث يذكر البكري "إن حوالي مدينة كوغة معادن التبر كثيرا، وهي أكثر بلاد السودان ذهبا"،[3] كانت تجارة الذهب بالسودان هامة بالنسبة لتجار المغرب الأوسط في أنه سلعة ثمينة يمكنها ان تفيء بتزويد أثمان البضائع المستوردة من بلاد المشرق الإسلامي والأندلس وما وراء البحر وغير ذلك.[4] حيث كان العبيد من أشهر السلع التي كان نقلها للدولة الرستمية وكذلك التبر وعطر الزبد والعنبر الرمادي والعاج وجلود الكولا.[5] إن قوافل المغرب الأوسط قد وصلت إلى البلاد فقد عادت محملة بالعبيد السود حيث أن ثمن العبد في بلاد السودان كان رخيصا بسبب وفرة العبيد ببلادهم في تلك الفترة حيث أن قيمة العبد لم تصل قيمة الحصان ولم يكن التجار يدفعون قيمته نقدا بل مقايضة لما حملوا إلى بلاد السودان من سلع.[6]

والمورد الأخير للعبيد كانت هي المناطق الغربية في السودان وهذه الاراضي كانت تستغل لتوفير العبيد، خصوصا بفضل تنظيم تجارة القوافل في الذهب والعبيد عبر الصحراء وأهم فئات رقيق السودان هم: السونكي، الغانيون... والصاو من الكانم التي تمتد أراضيه غير بعيدة من التشاد فهذا الرقيق يصدر إلى سجلماسة ومن هناك إلى

---

[1]– محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص234.

[2]– جميلة بن موسى: **تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي 9– 11**، (أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي)، جامعة الجزائر، 2001، ص88.

[3]– البكري: المصدر السابق، ص176.

[4]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص226.

[5]– عمار غرايسة: المرجع السابق، ص160.

[6]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع** ، ص227.

المغرب الأقصى والأندلس أو إلى ورجلة والجريد ثم إلى إفريقية وفزان وطرابلس وبرقة ومصر وما ورائها من البلدان الإسلامية في المشرق.[1]

لقد كان أفلح يريد معرفة بلاد السودان التي اشتهر امرها ببلاد الذهب[2] والخدم الذين يباعون فيها،[3] فلم يكن هدف أفلح الذهب وحده لوحده كفايته في ذهب غانة وإنما كان يسعى لتظليل عملية تصدير الرجال العبيد من جاو إلى تيهرت،[4] وتستورد أيضا الجلود من بلد السودان وتجلب منها أنواع عديدة منها جلود الغنم والإبل والبقر والماعز والحيوانات المفترسة كالنمور والأسود وجلود الأفاعي[5] ومن البضائع المستوردة أيضا العاج الذي هو بالأصل أنياب الفيلة ويباع في مدينة كانو لجميع التجار والأجانب بخمسين سنتيم للكيلوغرام، ثم يشتريه سكان واحات الجزائر، بما يعادل ستة فرنكات وهم بدورهم يصدرونه إلى الأقطار الأوروبية على حالته الطبيعية كمادة خام وكذلك القديد الذي هو عبارة عن لحم المواشي والجمال وبعض الحيوانات البرية والإفريقية وحتى لحم النعام،[6] وكذلك بيض النعام والتوابل وإلى جانب ذلك الجبن المجفف،[7] والفول السوداني والحنة[8] والصمغ والأغنام.[9]

---

[1]– موريس لومبارد: المرجع السابق، ص299.

[2]– جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات**، ص246.

[3]– الاصطخري: المصدر السابق، ص20.

[4]– جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات**، ص245.

[5]– نصر الدين سعيدوني: **ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني**، (مجلة الأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية)، الجزائر، العدد41، 1977، ص84.

[6]– محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري في القرن ما بين 1792م– 1832م**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984، د ج، ص168.

[7]– أحمد ذكار: **حضارة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي (1000– 1301هـ) (1591– 1983م)**، (أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير للتاريخ الحديث والمعاصر)، 1431هـ/ 2010م، ص103.

[8]– البكري: المصدر السابق، ص183.

[9]– أحمد ذكار: المرجع السابق، ص103.

ج- **المسلك الثالث: جبل نفوسة – غدامس- تادمكة- كوكو:** ينطلق هذا المسلك من مدينة شروس عاصمة جبل نفوسة[1] في اتجاه مدينة غدامس،[2] ومن تادمكة إلى غدامس أربعون مرحلة للصحراء. والماء فيها على مسيرة يومين وثلاثة أحساء، وبين غدامس وجبل نفوسة سبعة أيام في الصحراء، وبين نفوسة ومدينة طرابلس ثلاثة أيام على ما تقدم،[3] وتطرق ابن خلدون إلى ذكر غدامس وقال بأن موقعها جعلها محطا لركاب العاج من السودان وقفل التجار إلى مصر والاسكندرية عند راحتهم من قطع المقازة ذات الرمال المعترضة أمام طريقهم دون الأرياف والتلول. وباب لولوج «تلك المقازة والعاج والتجار في مرجهم»،[4] إن جاك تيري كشف النقاب عن طريقين آخرين كانا يصلان تادمكة وغدامس وجبل نفوسة وطرابلس فتادمكة كانت تمثل مفترق طرق، بعضها كان يؤدي إلى كوجو[5] وبين تادمكة ومدينة كوكو تسع مراحل، وإذا سار السائر من بلاد كوكو على شاطئ البحر غربا انتهى إلى مملكة يقال لها الدمدم يأكلون من وفح إليهم، وتجارة أهل بلاد كوكو بالملح وهو نقدهم، والملح يحمل من بلاد البربر يقال لها التوتك من معدن تحت الأرض إلى تادمكة ومن تادمكة إلى كوكو، وبين توتك وتادمكة ستة مراحل، ويذكر البكري طريقا آخر من تادمكة إلى غدامس تسير من تادمكة ستة مراحل في عمارة سغمارة... وصولا إلى أهل غانة.[6] فإن

---

[1]- **جبل نفوسة:** جبل عال منيف يكون نحو 3 أيام في أقل من ذلك، وفيه منبران لمدينة شمس إحداهما شروس في وسط الجبل وفيه مياه جارية وكروم وأعناب وتبن غزير وأكثر زرعهم شعير... وبالجبل مدينة ثانية تعرف بجادو من ناحية نقزاوة فيها منبر وجامع. للمزيد ينظر إلى: ابن حوقل: المصدر السابق، ص92، 93.

[2]- بحاز: المرجع السابق، ص218.

[3]- البكري: المصدر السابق، ص182.

[4]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص122.

[5]- صالح معيوف : المرجع السابق، ص58.

[6]- البكري: المصدر السابق، ص182.

الطريق الذي يسلكه هؤلاء التجار يصل مدينة غانة بالسودان بطرابلس المدينة مرورا بمدينة تادمكة الصحراوية شمال جاو الحالية عبر غدامس وجبل نفوسة.[1]

د- **المسلك الرابع: جبل نفوسة- زويلة- كوار بالكانم:** من طرابلس إلى جبل نفوسة يسير ثلاثة أيام، ومن أراد الطريق من نفوسة إلى مدينة زويلة[2] فإنه يخرج إلى مدينة جادو،[3] ثم يسير في الصحراء والرمال إلى موضع يسمى تيري وهو سفح جبل فيه آبار كثيرة ونخيل ثم يصعد في ذلك الجبل فيمشي في صحراء مستوية نحو أربعة أيام، لا يجد ماءً ثم ينزل إلى بير تسمى أودرب، ومن هناك يلقى جبلا شامخة تسمى تارغين.

يسير فيها الذهاب ثلاث أيام حتى إلى بلد يسمى التامرماء فيها نخيل كثيرة يسكنها بنو قلدين وفزانة،[4] ومن زويلة إلى كوار خمسة عشر مرحلة حيث بها قوم من المسلمين من سائر الأحياء أكثرهم بربر وهم يأتون بالسودان وبين السودان مدينة كوار ما يلي زويلة إلى طريق أزلة وأجدابية قوم يقال لهم لمطة أشبه شيء بالبربر.[5] ومن الصحراء إلى زويلة يوم وهي نحو في مدينة أجدابية وهي أول حد لبلاد السودان يجتمع بها الرفاق من كل جهة، وزويلة من طرابلس بين المغرب والقبلة ويجلب من زويلة الرقيق إلى ناحية إفريقية، وما بين زويلة وبلاد كانم أربعون مرحلة وهم وراء صحراء بلاد زويلة لا يكاد أحد يصل إليهم وهم سودان مشركون.[6]

---

[1]- تادايوش ليفيتسكي: المرجع السابق، ص135.

[2]- **زويلة:** هم قوم مسلمون كلهم إباضيون ويحجون إلى بيت الله الحرام وأكثرهم رواية ويخرجون رقيق السودان من المرينين والزغوبين ومن زويلة جلودها وهي أرض نخل ومزدرع وذرة وغيرها، وبها أحلاط من اهل خرسان والبصرة واهل الكوفة. للمزيد ينظر إلى: اليعقوبي: المصدر السابق، ص65.

[3]- **جادو:** هي مدينة بجبل نفوسة وهي من ناحية نفزاوة وفيها منبر وجامع. للمزيد ينظر إلى: ابن حوقل: المصدر السابق، ص93.

[4]- البكري: المصدر السابق، ص9.

[5]- اليعقوبي: المرجع السابق، ص65.

[6]- البكري: المصدر السابق، ص109.

إن هذا الطريق هو أقرب المسالك إلى بلاد السودان لا يستغرق فيه أكثر من شهر واحد، فهذه المسالك الاربعة التي تربط بلاد المغرب العربي بالسودان الغربي والأوسط.[1]

- **مصاعب التجارة العابرة للصحراء وظروفها:**

إن المسلك عبر الصحراء صعب، والاستعداد له شاق جدا،[2] فإن منها يرجع إلى طبيعة الصحراء القاسية وقلة وفرة المياه فيها، والسبب هو المناخ القاري الجاف، إن اختراق الصحراء من الشمال أو الجنوب أو العكس أمر شاق على التجار ودوابهم إذ نفذ مخزون المياه من القافلة ولم يجد أصحابها آبارا في الطريق تصبح القافلة حينها مهددة عطشا،[3] إلا أن هذه الصعوبة يمكن تجاوزها بقطع تلك القافار في فصل الشتاء أو الخريف،[4] والمعروف ان المناخ الصحراوي شديد البرودة شتاء مما يجعل فصل الشتاء على الطرق الصحراوية باردة وإن درجة الحرارة تكون مرتفعة بشكل كبير في الصيف،[5] لذا فإن القوافل التي تفترق الصحراء لا تسير دائما في خط مستقيم بل هي خاضعة للحاجة إلى التعريج على نقاط المياه والمرور بالواحات كما تلتوي بالسبب وظروف الطوبوغرافية لتدور بالجبال وتتجنب الوديان،[6] كما أن درجة الحرارة سببها بعد المنطقة على المسطحات المائية لذا فإن هذه المظاهر الطبيعية حتمت على التجار الحركة في أوقات مغيب الشمس، وعند الفجر وقد كان تأثير القوافل التجارية سلبا حيث أدت إلى إزهاق العديد من أفراد القوافل ودوابها.[7] ومن الاحتياطات التي كان التجار يتخذونها لعبور

---

[1]- بحاز: المرجع السابق، ص220.

[2]- بحاز: المرجع السابق، ص220.

[3]- محمد صالح حويتة: **التوات والأزواد**، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، د ط، 2007م، ج1، ص143.

[4]- بحاز: المرجع السابق، ص220.

[5]- إلياس عمر حاج عيسى: المرجع السابق، ص187.

[6]- إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، د ج، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص60.

[7]- إلياس عمر حاج عيسى: المرجع السابق، ص115.

الصحراء الكبرى ما يرويه لنا الادريسي عندما يقول: «وصفه السير بها أنهم يوقرون أخمالهم ويفيدون أجمالهم... ويخيمون على أنفسهم ظلالا تكنهم من الحر الهجين والسموم القاتلة ويقيمون كذلك إلى أول وقت لعصر وحين تأخذ الشمس في الميل والإنحطاط في جهة المغرب ويرحلون من هناك ويمشون بقية يومهم ويواصلون المشي إلى وقت العتمة... وهكذا سفر التجار الداخلين إلى بلاد السودان وعلى هذا الترتيب لا يفارقونه»،[1] وكما يقول ابن حوقل: «إن الصحراء لا تُسلك إلا في الشتاء»،[2] كما أن القوافل تتعرض للكثير من الاحيان إلى هجمات اللصوص وقطاع الطرق التي تزعمها التوارق والبدو الرحل،[3] فعلى التاجر أن يكون حذرا من هوام الأرض ودوابه.[4]

وإن أهم عائق يواجه المسافر هي الزوابع الرملية وتؤدي هذه الأخيرة إلى طمس الطرق وإخفاء الدروب وإلى إتلاف أمتعة المسافرين وإلى نفور الإبل والدواب وربما إلى هلاك القوافل التجارية بأكملها،[5] وإن عبور الصحراء شاق ومهول، ومشاقها أكثر من أن تحصى إلى القافلة تتكون من ثلاثة آلاف إلى اثني عشر ألف جمل،[6] إن كثرة الجمال في بلاد المغرب لا تدانيها في الكثرة بلاد العرب والواقع أن تلك الكثرة تتماشى مع نشاط التجارة العابرة للصحراء، والتي كان فيها الجمل هو السر الحقيقي في نجاحها، وقد أدى ما لم تؤديه السفن البحرية.[7]

---

[1]- الإدريسي: المصدر السابق، ص160.

[2]- ابن حوقل: المرجع السابق، ص66.

[3]- يحي بوعزيز: **مح: تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1999، د ج، ص115.

[4]- بحاز: المرجع السابق، ص222.

[5]- يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص115، 116.

[6]- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص405.

[7]- بحاز: المرجع السابق، ص222.

رابعا: الموارد المالية: (بيوت الأموال ودار الزكاة)

كانت بالدولة الرستمية، كغيرها من الدول بالمغرب الإسلامي أنذاك مؤسسة مالية قائمة، تمثلت في بيوت الأموال ودار الزكاة وكل منها يختلف في مقر العاصمة تيهرت[1] وإن نظام تعدد بيوت الأموال كان سائدًا منذ صدر الإسلام حيث أن للزكاة ديوانا حاصًا بها في مركز الخلافة يتبعه فروع في سائر الولايات والبلدان.[2]

إن موارد وكيفية جمع الأموال مختلفة باختلاف مصدرها، إن نجد الإعانات الخارجية أول الموارد التي ساعدت الإمام الأول عبد الرحمان بن رستم وأعيان الإباضية على إنشاء مشاريع من أجل التنمية والتطوير،[3] ويشير ابن الصغير إلى تعدد بيوت الأموال في عهد الإمام الأول عبد الرحمان بن رستم فيقول: «وبيوت أمواله ممتلأه»،[4] وتذكر معظم المراجع أن الدولة الرستمية كانت مزدهرة في فترة حكمه.[5] وقد قسمت هاته الإعانات الخارجية إلى ثلاثة أقسام: « ثلث في الخيل، وثلث في السلاح، وثلث وزعت على فقراء الناس وضعفائهم أما ما بقي من المال فاستُصلحت به الأراضي البور وغرست البساتين وأجريت الأنهار».[6] أما المورد الثاني للأموال الذي اعتمدته الدولة في مختلف أطوار وجودها فيتعلق بالتجارة والزراعة، ففيما يخص التجارة، يقول ابن الصغير: «واستعملت السبل إلى بلد السودان، وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة»،[7]

---

[1]– بحاز: المرجع السابق، ص237.

[2]– صبحي الصالح: **النظم الإسلامية نشأتها وتطورها**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1385هـ/1965م، د ج، ص359.

[3]– قدور وهراني: **جوانب من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمدينة تيهرت من خلال ابن الصغير المالكي**، (مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث)، جامعة وهران، الجزائر، المجلد5، العدد20، 1431هـ/2010م، ص169.

[4]– ابن الصغير: المصدر السابق، ص15.

[5]– عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص156.

[6]– ابن الصغير: المصدر السابق، ص36.

[7]– نفسه، ص36.

وقد ساعد موقع الدولة الرستمية من السيطرة على سلسلة من الطرق التجارية التي تؤدي إلى مختلف الاتجاهات وبالتالي جعلها مركزًا هاما لمدة قرن ونصف تقريبًا،[1] ومما لا شك فيه أن العلماء أيضا ساهموا بالتجارة فقد إعتاد هؤلاء أن يصطحبوا معهم سلعة للتجارة في رحلتهم، وهذا للمساهمة في الازدهار الاقتصادي لتيهرت، ومنه أدى إلى فائض في الإنتاج كان عليهم تسويقه، فكثرت الثروة في أيديهم.[2] أما فيما يخص الزراعة فلقد اهتم الرستميين بالزراعة والماشية واستصلاح الأراضي وهذا يعود إلى مخازن الدولة بموارد مالية هائلة والذي ساعد في تحسين الزراعة هو موقع تيهرت الممتاز،[3] حيث يضيف ابن خردادبة يقول: « وهي مدينة كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه»،[4] أما المقدسي فيصفها قائلًا: «هي بلح المغرب قد أحدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين وتبعت حولها الأعين وجل بها الأقاليم»،[5] ومن هذا يتبين أن لجغرافية الموقع دورًا كبيرًا في الازدهار الاقتصادي الذي كان سببا مهمًا في تزايد حجم الموارد المالية للدولة الرستمية أما المورد الثالث فيتمثل في الصدقات كما يقول ابن الصغير: « وأصحاب شرطته والطائفون به (أي عبد الرحمان بن رستم) قائمون بما يجب وأهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في أوان الطعام فيقبضون أعشارهم في هلال إلى... من أهل الشاة والبعير، ويقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون»، ولم يكن في تيهرت بيت للمال فحسب وإنما كان إلى جانبها دار تعرف بدار الزكاة.[6] وكان لهاتين المؤسستين الماليتين دور لكل منهما فكما قال الكعاك: «وغاية العلم أنه كان يوجد

---

[1]– إدريس صالح الحرير: **العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى في نشر الإسلام هناك**، مجلة البحوث الإسلامية، العدد1، السنة 5 جانفي 1983، ص75، 87.

[2]– جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع**، ص122، 123.

[3]– إحسان عباس: **المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين**، مجلة الأصالة (الجزائر)، العدد45، ماي 1985، ص42.

[4]– ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله: **المسالك والممالك**، مكتبة المسنى، د ط، بغداد، 1889، د ج، ص45.

[5]– المقدسي: المصدر السابق، ص171.

[6]– ابن الصغير: المصدر السابق، ص15.

ديوان يعرف ببيت المال لفيض الأموال الداخلة ودار الزكاة لدخول المال وخروجها».[1] ولقد كان هذا في عهد عبد الرحمان بن رستم، ولا شك أن هاتين المؤسستين استمرتا مع الدولة الرستمية إلى آخر عهدها، وتشير المصادر إلى أن رجال نفوسة كانوا هم الذين يتولون مسؤولية بين المال في تيهرت.[2]

ولتفسير أكثر لهاتين المؤسستين:

أ- بيت المال موارده ونفقاته:

لقد كان بيت مال المسلمين موارده الخاصة فقد كان يتغذى من الأموال التي تجيء جزية أو خراجا للأراضي أيضا يضاف إليها بعض الضرائب والرسوم التي كانت تؤخذ من أرباب التجارات والحرف والقوافل التجارية وغيرها،[3] وهذا نظرًا لكثرة أهل الأموال والتجار فيها أي تيهرت كما قالها الشماخي في كتابه السير: «إنتقل إليها أي تيهرت أهل الأموال والتجار من مصر وإفريقية والمغرب»[4] كما تحدث ابن الصغير عن الجباة ومصارف مال الجباية،[5] ولم تذكر المصادر شيئا عن إحصائيات وكمية أموال هذه الأنواع من الجبايات وأن نفقات هاته الأموال لم تكن فقط للصدقات أو لدفع أجور العمال، إنما تعدت إلى أكثر من ذلك حيث أن جزء منها كان يصرف في سد مصالح المسلمين العامة كبناء المساجد والطرقات والأسواق أيضا في إنشاء مراكز استثنائية والإنفاق على طلبة العلم[6] ولم يكن الرستميون من المهتمين بملء الخزائن، والجباية أنواع متعددة من الضرائب، وإنما اكتفوا

[1]- الكعاك: المرجع السابق، ص43.
[2]- الشماخي: المصدر السابق، ص192.
[3]- بحاز: المرجع السابق، ص142.
[4]- الشماخي: المصدر السابق، ص158.
[5]- ابن الصغير: المصدر السابق، ص15.
[6]- إحسان عباس: المرجع السابق، ص31.

بالحقوق الشرعية دون غيرها مع بعض الرسوم الواجبة والتزموا بصرفها في وجوهها الشرعية أيضا دون أن يأخذوا منها شيئا ليس من حقهم.[1]

ب- دار الزكاة والموارد والنفقات:

وكان لدار الزكاة مورد واحد وهو الزكاة، حيث أن الأغنياء فيها يؤدون زكاة أموالهم إلى بيت مال المسلمين في وقت معلوم، وكان عمال الزكاة وجباة بيت مال المسلمين هم الذين يأخذون الزكاة من الأغنياء، وكان الأغنياء يدفعونها كاملة ومن أحسن أموالهم، وهم مسرورون بما أعطوا، إنما حق الله في أموالهم، وهم يعطونها لله لا ينقطعون منها دانقا واحدا مما أحصوا في التجارة ولا خبة واحدة مما وجب عليهم في الغلال ولا شاة واحدة مما يجب عليهم في الغنم وكذلك الإبل والبقر[2] ويذكر ابن الصغير أن الزكاة كبيرة كبر الدار نفسها حين وصفها عندما تعرض لذكر قصة القاضي الذي خرج ليلًا باحثا عن ابن أبي اليقظان، أتى بمنكر قيل أنه اختفى بدار الزكاة، وهكذا يفتش القاضي الدار كلها وتبدو لنا متكونة من أكثر من طابقين وعدة غرف،[3] ولقد كان حكام الدولة الرستمية ذو ثروة كبيرة حيث كان الإمام عبد الوهاب نفسه يمتلك كمية طائلة من الذهب، وهذه الثروة لها أثرها في بناء الدولة الرستمية، وقد اعترف الإمام قائلا: « لولا أنا ومحمد بن جزئي ويبيب بن زلفين لخرب بيت مال المسلمين: أنا بالذهب ومحمد بن جزئي بالحرث وابن زلفين بالأنفال وهذه المقولة تبين أهمية الزكاة كمورد وحيد لتلك الدار.

وكانت دار الزكاة لا يمولها إلا هؤلاء الثلاثة[4] وتشير بعض المصادر إلى تهرّب السكان من دفع الزكاة، وتفسير ذلك ما كان يفعله أبو يونس وسيم عامل الإمام عبد الوهاب على قنطرارة. « إن كان يصعد إلى أشرف موضع حيث يسمعه الأقصى والأدنى

[1]- بحاز: المرجع السابق، ص244.

[2]- محمد علي دبوز: المصدر السابق، ص43.

[3]- ابن الصغير: المصدر السابق، ص43.

[4]- الاصطخري: المصدر السابق، ص36.

فينادي بأعلى صوته لا فرار من الصدقة والفار من الصدقة يؤذي ويكرر ذلك»[1] ويخبرنا اليعقوبي من جهة أخرى أن أهل جبل نفوسة: « لا يؤدون خراجا إلى سلطان، ولا يعطون طاعة إلا إلى رئيس لهم بتيهرت»[2] وكانت موارد دار الزكاة أيضا المساهمات النسوية في تلك الدار بما فرض الله عليهن من زكاة حليهن وهذا نظرا للثروة الذهبية الهائلة للرستميين ومدى مساهمتها في تغذية الدار بشكل كبير وعظيم جدا،[3] وفي الحديث على نفقات هذه الدار فإن مواردها ترد أكثرها على فقراء الأمة وضعفائها لبساطة النظام وانحصار المملكة في تيهرت وما حولها[4] ونرى أن الدولة الرستمية تطبق نفقاتها تبعا لما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[5] إذا فإننا نرى أن الزكاة توزع في وجوهها المشروعة وفي أوقاتها وبما يوافق الشريعة الإسلامية.

[1]– الشماخي: المصدر السابق، ص195.

[2]– اليعقوبي: المصدر السابق، ص99.

[3]– الشماخي: المصدر السابق، ص239.

[4]– الميلي: المرجع السابق، ص69.

[5]– سورة التوبة: الآية 60.

خامسا: أثر الاقتصاد على الوضع الاجتماعي:

أ- الحسبة:

1- تعريفها:

هي وظيفة دينية أن قوامها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1] لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2] ولقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[3] ولقوله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).[4]

تعد الحسبة من أهم الأدوات المعتمد عليها في تنظيم وضبط الحياة الاجتماعية وحمايتها من المظاهر غير الطبيعية خاصة ما تعلق منها بالمعاملات، وما يتصل بها من علاقات ، وتقوم الحسبة أساسا على ما يباشره المحتسب.[5]

2- مهام المحتسب وشروطه:

أ. **مهام المحتسب:** تقوم الحسبة أساسا على ما يباشره المحتسب المرتكز جهوده بالدرجة الأولى على حماية المجتمع من الباعة والصناع بحيث لا يعكس هؤلاء في صناعة أو وزن ويتخذ له لذلك عيونا يوصلون إليه الاخبار وأحوال السوق، كما يقوم بمنع الأطباء والجراحين والصيادلة من وصف العلاج الخاطئ أو بيع العقاقير

---

[1]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص190.

[2]- سورة آل عمران: الآية 104.

[3]- سورة آل عمران: الآية 114.

[4]- هذا الحديث خرجه مسلم من رواية قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبي سعيد ومن رواية إسماعيل بن رجاء عن أبيه عن أبي سعيد.

[5]- عمار غرايسة: المرجع السابق، ص90.

المغشوشة، كما يمنع المحتكر بن والصرافين من رفع السعر والغش في النقود وتزييفها كما تسند له مهام أخرى على مستوى الاجتماعي الخدمي منه والصحي وعلى مستوى الاخلاق العامة بما يقوم به من مراقبة «نظافة الأسواق والطرق ومنع كل شأنه مضايقة المارة... وفي مجال المحافظة على الأخلاق العامة كان المحتسب يقوم بمنع الناس من مواقف الريب ومواطن التهم»[1]

ب. **شروط المحتسب:** يجب أن يكون المحتسب مسلمًا إن لا ولاية لكافر ولا أمانة وان يكون بالغا وأن يكون عدلًا، ومن شروط الكمال أن يكون لا يخاف الله لومة لائم ذا مهابة ووقار وهمة عالية غير دني القدر وفضاض شبوبها رفق، ومن حقه أن لا يؤذي أحد من يتقدم له فيما أمر به أو نهي عنه ويتأنى ولا يؤذي أحدًا إلا بعد التدقيق وعلى المحتسب كذلك أن يحتسب كل ما يراه مصلحة للمسلمين وأن ينظر في الأمور الجليلة والحقيرة، ولا ينبغي له أن يستر دار قوم إذا اتهمهم بمعصية، لم ترتفع أصوات الملاهي والمناكر وضجيج السكارى فله الهجوم عليهم ، وفيما يخص الأجرة فهي كأجرة أعوان القاضي،[2] وأن يكون فقيها عارفًا بأحكام الشريعة.[3] عفيفًا عن أموال الناس متصفًا بالأخلاق الفاضلة، ورعاتقيا، وقبل كل شيء أن يكون مسلمًا حرًا بالغًا عاقلًا قادرًا وكان الوالي والقاضي وصاحب الشرطة يشدون أزره في أداء هذه الوظيفة الواسعة الشاملة لكافة نواخي الحياة لأنها تدور حول كل ما يقع فيه منكرا وكل ما أن يكون فيه أمر بالمعروف فهي تشمل التجار وأسواقهم وأهل الحرف والمحافظة على الآداب العامة في الطرق والساحات وتهتم بوضع الحق في نصابه. فإن اهم ما ارتبط بنظام الحسبة في مبتدأها ما تعلق بتنظيم الأسواق خاصة ما تعلق بالأسعار وحركة السلع ويمثل دور الحسبة في هذا ما ذكره ابن عرفة من

[1]– عمار غرايسة: المرجع السابق، ص10.

[2]– لقبال: المرجع السابق، ص180.

[3]– جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص ص190، 191.

أنه: « إذا كان الإمام عدلًا ورأى التسعير مصلحة يجمع وجوه أهل (سوق) ذلك شيء ويسألهم كيف يبيعون؟ وكيف يشترون؟».[1]

- **الحسبة على صاحب الحمام:** سئل يحي بن عمر صاحب الحمام، إذا دخل نساء لأمرضن بهن ولا نفاس فقال لا شيء عليه حتى يتقدم إليه فإن عاد فعليه الأدب على ما قد يرى الإمام، وكتب إلى ابن طالب بعض قضاته في حمام قد ضاقوا منه ورأوا أتى منكر عظيم فأخذ رأيه في ذلك، فكتب إليه: « أحضر فتقبل الحمامي، وأمره، أن لا يدخل الحمام إلا امرأة مريضة أو نفساء ولا يدخل الرجل إلا بمئزر».
- **الحسبة على الأطباء ومدعي الطب:** قال العقباني في مطويته عن الحسبة يجب على الحاكم تفقد هؤلاء وقمعهم ومنع من يتعاطى علم الطب ونحوه من الجلوس للناس حتى يحضر مع من يوثق به من الأطباء والعلماء ويختبرونه بحضرته، ويصح عنهم أنه أهل للجلوس في ذلك الشأن فإنهن أقتحم على ذلك بتغير استحقاق فقتل أحدًا وأتلف له عضوا على غير منهاج الطب فهو مقعد يجب ضربه وسجنه ولزومه الدية قيل في ماله، وقيل على علاقاته ومن زعم الطب، وهو جاهل فتكون الضرر على علاجه غاية لم يلزم الدية لأن فعله من باب الخطأ لا من العهد إذ لم تظهر عنده آثار لقصد القتل والعمد والعدوان.[2]

[1]– عمار غرايسة: المرجع السابق، ص100.

[2]– لقبال: المرجع السابق، ص181.

3-الحسبة في بلاد المغرب الأوسط:

لم يرد ذكر المحتسب بهذا الاسم في تيهرت أو غيرها من مدن المغرب الأوسط ربما لأن الحسبة لم تكن منظمة فيها، ولم تكن وظيفة مستقلة بحيث يختص بها موظف معين يحمل لقب (المحتسب). فقد كانت مهمة المحتسب يتولاها صاحب الشرطة في تيهرت في عهد الإمام أفلح: فقد أشار إلى أن صاحب الشرطة الإمام أفلح كان إذا تخلل للمدينة لافتقادها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة. وهنا ينفي وجود المحتسب تحت أي لقب في تيهرت ما دام صاحب الشرطة قائما بالأمر.[1] وقد أضاف ابن الصغير أن نفوسة في تيهرت كانت: « تلي عقد تقديم القاضي وبيوت الأموال، وإنكار المنكر في الأسواق والإحتساب على الفساق»، إن نفوسة كانت تلي مهمة الاشراف على الحسبة، فابن الصغير يذكر أن: «الإمام أبا اليقظان أمر قومًا من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»[2] فمن هنا يعني عدم استعمال كلمة الحسبة، فإبن الصغير لم يقرن العبارة بمصطلح محدد مثل محتسب أو صاحب سوق أو المشرف على السوق فأنه لم يذكر منها بتاتا، فإن أسواق تيهرت أحذت تتطور وتتسع فقد بدأت تطلب استقلال مسألة الإشراف عليها. فقد بدأت أسواق تيهرت تخضع لإشراف قوم نفوسة.[3]

- **أول من خرج محتسب:** يُعد أبو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المغافري هو أول من خرج محتسبا عندما بلغته أخبار المنكر التي اقترفتها قبيلة ورفوجمة بالقيروان وعندما قامت الدولة الرستمية كانت نفوسة في تيهرت هي التي عقد تقديم القضاة وإنكار

[1]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص191.

[2]- ابن الصغير: المصدر السابق، ص337.

[3]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص191.

المنكر في الأسواق، وإذ رأوا دابة تحمل فوق طاقتها أمروا بالتخفيف عنها. وإن رأوا تراكم الأوساخ أمروا سكان الموضع بكنسه.[1]

لم تكن ولاية الحسبة مكلفا بها شخص واحد بل كان يقوم مكل الشيوخ المشهود لهم بالعلم والورع فقد عرف لكل من ابن مغيطر النفوسي وأبي مرداس معاصر السدراتي بأنها كانا شديدي الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وعند وقوع فساد بمدينة غدامس خرج إليهم أبو الفضل سهل لتأديبهم وعندما رأى أبو محمد المزاتي تاجرًا يطفف الكيل لطمه وأمره أن يفي الكيل، فقد كان الشيوخ يأمرون بالمحافظة على الطرقات العامة بحيث كان أبو المنيب محمد بن يانس يتفقد المزارع والحقول والطرقات محتسبا فمن وجد شخصًا أفسد شيئا ما وأقام بعمل يضر الأخرى منعه. وكانت العقوبة تتفاوت بين الجلد والسياط أو بالحبس في المسجد أو في منزل الحاكم، فإن أب محمد التغرميني سجن شخصًا يسمى أبار كان من أغرام إينان بمسجد إيمسراتت تأديبا عن رعي غنمه في مكان غير مخصص للرعي.[2]

4-أهمية الحسبة:

قال عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي: في منظومته المشهورة "الأقنوم في مبادئ العلوم" على خطة الحسبة وشروط المحتسب:

عـلم يـزال بـه غـش الباعة *** ينظـر في الميزان والصناعـة.
وشـروط قـائـم به الإسـلام *** والـعدل لا يـصـدره مـــلام.
فـظـنا بـرفـق بـالـغًا وذكرًا *** ذاهـيـبـة وهـــمـه مـوقـرًا.
ولا يـؤدي قـبـل تـحقيق ولا *** تـأديـب إلا بـعد إعـلام جـلا.
وفـي جميع ما يـراه مصلحة *** فليحتسب كل فساد أصلـحه.
أنـكـاره بـحسب الـمـواضـع *** والشخـص والأحـوال والمـنافع.

[1]- مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص370.
[2]- نفسه، ص372.

والسر والدهر له التطريف *** والضرب والتوبيخ لا التنصيف.
بعد التشبت مع التربص *** دون تجسد على مخصص.
في نفسه مستتر المعاصي *** إلا المجاهر بلا اختصاص.
كذا إذا أصوات الملاهي ارتفعا *** وفاسق لفسقه قد جمعا.
فعندئذ منكرهم يغبر *** وليك فظا لينا ويزجرَ.
ويتوعد ويسجن كذا *** أيضا يوبخ ويضرب البذا.[1]

فإن أهمية الحسبة تكمن في بناء مجتمع إسلامي سليم.[2]

ب- المستوى المعيشي في الدولة الرستمية:

عرفت الدولة الرستمية ازدهارا اقتصاديا في تاريخها الطويل رغم بعض الفتن وكان الازدهار ذا أثر واضح على المجتمع الرستمي كافة وخاصة تيهرت وكتن للمال الدور الرئيسي في تكوين الدولة ورسم تاريخها، بالإضافة إلى النشاط الزراعي والتجاري ووفرة أسباب الحضارة فكل هذا رفع من مستوى المعيشة فيها ففي عهد الإمام الأول عبد الرحمان بن رستم تطورت تيهرت واتسعت اتساعا باهرا ففي فترته انتعش الفقير وتحسنت أحوال الناس ومنه أنشأوا العمارة والبناء بالإضافة إلى غرس البساتين الرائعة.[3]

كما شيدت في عصره القصور وغرست مختلف المزارع وكثر بها العبيد والخدم وتحسنت أحوال الفقراء والمستضعفين[4] كما استطاع توحيد كافة القبائل الأمازيغية خلال القرنين 8 و9.[5]

---

[1]- لقبال: المرجع السابق، ص182.
[2]- جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص193.
[3] - بحاز: المرجع السابق، ص163.
[4] - لقبال: المرجع السابق، ص201.
[5] - تادايوش ليفيتسكي: المرجع السابق، ص36، 37.

فقد عاشوا في ظل الإمام عبد الرحمان بن رستم في نظام مثالي يحقق العدالة والمساواة بين جمع أهل الدعوة، فالإمام كان القدوة الطيبة لرعيته في الزهد والعفاف وحسن السيرة وإقامة العدل.[1]

فقد أعجب أهل المشرق لدرجة أنهم استوطنوها وذلك لما وجدوا فيها من أمن ورخاء ورقي السياسة، فسياسة عبد الرحمان الداخلية كانت ترمي إلى الرقي الاقتصادي والاجتماعي وإقامة دعائم دولة قوية وثابتة أما في زمن ابنه عبد الوهاب حول تلك السياسة الراقية إلى سياسة خارجية أرقى، فقد وفر الأمن لجميع رعاياه كذلك رقي وروعة المستوى المعيشي الذي عاشه أهل جبل نفوسة[2] فقد كانوا برابرة مجبلون على حب العمليات الحربية ويتسمون بالشجاعة وباستعدادهم للقيام بأي شيء كما أنهم متمسكون بحريتهم الخاصة ومتشبثون باستقلالهم الذي يعيشون في الدفاع عنه.[3]

فرغم الطبقات الاجتماعية التي كانت تسودهم إلا أنهم كانوا يحسنون للعبيد ويعاملونهم برفق كما كان العبيد يحضون بالعلم.[4]

فتيهرت كانت جميلة حولها بساتين من أنواع الثمار كثيرة الأشجار وهي شديدة البرد كثيرة الأمطار حيث قال أحد الشعراء عنها:

فراغ الهوى شغل ومحيا الهوى قتـل ويوم الهوى حول وبعض الهوى كل

وجود الهوى بخل ورسل الهوى عدى وقرب الهوى بعد وسبق الهوى مطلٌ

[1] – سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب (تاريخ دول الأمازيغية والرستمية وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين)**، دار المعارف، الكويت، د ط، د س، د ج، ص140.

[2] – بحاز: المرجع السابق، ص165.

[3] – مارمول كربخال: **إفريقيا**، دار المعرفة، الرباط، د ط، 1984، د ج، ص 43.

[4] – مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص429.

سـقى الله تـيهرت الـمنا وسويقـية بساحتها غـيثا يطـيب بـه المـحلُ[1]

فهذه المدينة أعجب بها جميع المؤرخين الذين كانوا معاصرين لأئمة بني رستم يصفونها بقولهم: المدينة العظمى تيهرت جليلة المقدار عظيمة الأمر تسمى عراق المغرب، بها أخلاط من الناس تغلب عليهم قوم من الفرس يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب ابن عبد الرحمان بن رستم الفارسي.[2]

كما احترمت الدولة الرستمية حرية الاعتقاد والكلام والفكر وحدود الدين الإسلامي كما كانت تقاوم الفقر بالجد والعمل والنشاط، فكل أفرادها يعملون ولا يملون، كما كانت لها شرطة معتنيه بالنظافة والنظام والإتقان في العمل محافظين على الدين والأخلاق لدى الشعب كما كانوا يسعون في تربيتهم برفق، فقد كانت الدولة الرستمية دولة الاستقرار والسكون والهناء والسعادة فقد كان شعبها راضي بالرؤساء والأئمة لا ثورات ولا انقلابات ولا اغتيالات فقد كانت دولة مسالمة يسودها الصفاء والطمأنينة كانت دولة عفيفة عن الدماء الحرام قامت على العقيدة لا بالسيف.[3]

1- رفاهية الدولة الرستمية وعيشها الكريم:

كانت الدولة الرستمية معتنيه بالنظافة وكثرة الحمامات الساخنة فيها، فالنظافة كانت في جميع أنحاءها، والأغنياء يتخذون الحمامات الساخنة في بيوتهم كما كانت الحمامات الشعبية العامة للفقراء والغرباء، وكان النظام عندهم مثل اليوم فهناك وقت مخصص للنساء تديره نسوة ووقت آخر للرجال، كما كانت الدولة الرستمية مغرمة بالجمال والحسن والإتقان في كل المدن والشوارع والديار وكل التقاليد قائمة على الدين.

[1] – ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص198.

[2] – عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: المرجع السابق، ص154.

[3] – محمد على دبوز: المرجع السابق، ص296، 297.

كان أهلها يسكنون الديار الواسعة الجميلة والصحية فحياتهم استقلالية كريمة، وكان لكل أسرة دار تملكها تتكون من طابقين أو أكثر لا يشاركها فيها غيرها وكان كل رجل إذا كبر يجعل نصب عينيه اقتناء دار لسكنه أو شرائها، فتجد حياتهم هنيئة وعيشتهم سعيدا وهم في سعادة في ديارهم التي لا يسكنهم فيها غريب ولا يجاوروهم من يقلقهم بشذوذه ويعكر صفوهم بسوء عشرته ويفسد أخلاق الأسرة.

فهذا النظام الإسلامي العظيم في السكن والحياة الاستقلالية في الديار الرائعة كما أن اللباس المغربي الإسلامي أجمل بزة إسلامية وأجمل من لباس أهل المشرق. أما الغناء الذي تقوم به في حفلاتها وأعراسها فقد كان نظيفا طاهرا لا يخالف الدين الإسلامي.[1]

2- العلم والمرأة في الدولة الرستمية:

أما بالنسبة للعلم فقد كانت الدولة مولعة به فقد فتحوا لها مدارس في كل الطبقات بكل الوسائل والأسباب كما كانت تعتني بالتربية الصحية في مدارسها، فالمعلم عندها هو العمل به، وكان المعلمون في المدارس مثال التقوى والورع وحب العلم والحرص على نشره كما كانت الدولة الرستمية معتنيه كثيرا بالمرأة وتعليمها وكل ما يجعلها زوجة صالحة وأم كريمة وأساسا للدولة العظيمة، فقد كانت تقرأ الكتب وتفهم العربية جيدا كما أنها تتقن كل الصناعات المنزلية، فقد كان نساؤها يحضر الدروس في المساجد وكن متواجدات في أوقات الصلاة فيصلين في جماعة ويحضرن الدروس بين الصلوات وينقلنه في وجدانهن وعقولهن إلى منازلهن، وكانت المرأة متربية في بيوت صالحة وراقية وفي مدارس رشيدة بين آباء وأزواج صالحين، فقد كانت مثال الصلاح والثقافة والإسعاد لزوجها يحضى في ظلهن الزوج بكل هناء وسعادة وتفيض الديار بكل أنس وحب وحضارة.[2]

[1] – محمد على دبوز: المرجع السابق، ص476، 478.

[2] – نفسه، ص329، 360.

كما أن المرأة النفوسية حظيت باهتمام كبير، فقد عملت الدولة على إعدادها جيدا لتؤدي رسالتها في المجتمع، فقد كانت تعمل على أن تكون عالمة بدينها وناشرة للفضيلة، وقد كانت لها أشغال في الزراعة وغزل الصوف مهتمة بأعمال منزلها.[1]

بالإضافة إلى دين الدولة الرستمية وديمقراطيتها وعدلها تعتني حتى بعبيدها وخدمها فتعلمهم دينهم وكل ما يثقفهم وكل ما يجعلهم سعداء وصالحين.[2]

وكانت الأزمات التي مرت بها تيهرت محدودة التأثير فالكوارث الطبيعية كانت تخص سنوات معينة قليلة والحروب والفتن الداخلية تتعلق بفترات ومناطق وقبائل محدودة ولم تكن تأخذ الطابع الشمولي للبلاد ففي القرن الثالث هجري كانت متيجة بلد زرع وعمارة وكانت مدينة خضراء التي اكتسبت اسمها من اخضرار منطقتها بسبب بساتينها، وكانت تيهرت المدينة العظمى وكانت تلمسان في غرب البلاد لا تقل مكانة عن تيهرت فهي مدينة جليلة معروفة بها خلق عظيم، قصور ومنازل مشيدة فبصفة عامة عاش المغرب في هذه الفترة رخاء تام.[3]

كما كانت الدولة الرستمية مهتمة كثيرا بالبستنة والإنتاج الزراعي المتنوع أهمها زراعة الحبوب وغيرها من الخضر والفواكه بالإضافة إلى الإنتاج الحيواني الوفير والمتنوع فكانت اللحوم والألبان والعسل والجلود متوفرة بشكل كبير وهذا ساعدها على توسيع التجارة فقد كانت واسعة وتدير أرباحا كبيرة، فقد جمعت تيهرت بين توفير المحاصيل الزراعية والأشجار والبساتين وبين التجارة الواسعة كما كانت أسواقها منظمة وواسعة

[1] – مزهودي: **جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام**، ص430، 435.

[2] – محمد على دبوز: المرجع السابق، ص352.

[3] – جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع**، ص425.

النطاق فكانت البضائع تدخل وتخرج باستمرار وكانت داخلية وخارجية كما كانت غنية بالمعادن والصناعة المختلفة.[1]

[1] – إسماعيل سامعي: المرجع السابق، ص176، 178.

الخاتمة

من خلال دراستنا هذا الموضوع يمكننا القول أن النشاط الاقتصادي كان ملازمًا للدولة الرستمية من البداية وتلك لطبيعة المذهب الذي يعتمده أغلب السكان في الدولة، أيضا الموقع الاستراتيجي الذي تحتله العاصمة تيهرت.

عرف المغرب الأوسط في عهد الدولة الرستمية ازدهارًا واسعًا في الأوضاع الاقتصادية وذلك راجع للحكومة القوية وتوفر الأمن في الداخل إضافة إلى ذلك كانت الدولة الرستمية عامل توازن بين الأغالبة والأدارسة لوقوعها بينهما وكانت تعمل بتعامل سلميا معهما، كل هذا أدى إلى تحقيق ذلك الازدهار والرخاء، بالإضافة إلى الموقع التي تحتله العاصمة تيهرت والذي يعد من أبرز أسباب التقدم وذلك لتنوع طبيعتها واختلاف مناخها وخصوبة أراضيها فهي تطل على العيديد من المنافذ الأساسية للدولة.

ازدهرت الحضارة الرستمية ازدهارا كبيرا وذلك بفضل النشاط الزراعي والصناعي والتجاري فيها.

إن الموقع الاستراتيجي الذي تميزت به الدولة الرستمية سمح لها أن تكون مزدهرة وجعل موقعها ثروة زراعية وحيوانية وذلك بتوفر عوامل طبيعية نشطة كالأنهار والأراضي الخصبة وبذلك تنوع الإنتاج المتمثل في القمح والماشية والأصواف...

ازدهرت الصناعة هي الأخرى في المجتمع الرستمي لتلبي حاجات لأفراده، وكان لتوفر المواد الخام اللازمة لمختلف المنتوجات على اختلاف أنواعها الصوفية، الكتانية والحريرية لتوفر خامات الصوف والكتان والمراعي والمزارع كما تعددت المناجم التي أمدت الصانع حاجاته ولوازم صناعته وعرف الرستميون صناعة الطواحين وأقاموها على الأنهار، التي تشق عاصمتهم مستفيدين من قوة تدفق المياه لإدارتها.

قام الرستميون بدور فعال في مجال التجارة حيث لم تعق الخلافات السياسية والمذهبية بين الرستميين وجيرانهم حركة التجارة مما أعطى الرستميين دفعة قوية في هذا

المجال ووقوع عاصمتها تيهرت على طريقين من أشهر الطرق التجارية في ذلك الوقت: طريق الشرق والغرب، الشمال والجنوب إذ هيأ لها أن تكون مركز للتبادل التجاري بين بلاد السودان والمغرب والمشرق وسواحل البحر المتوسط وكانت سفن الأندلس تصل موانئها إلى تنس بالبضائع الأندلسية فتفرغها، وتحمل منتجات البلاد الرستمية من منسوجات صوفية والعاج والجلود، إن أشهر السلع التي نقلها الرستميون من بلاد السودان العاج والذهب والعبير... وذلك في مقابل ما يبيعونه هناك من منسوجات صوفية وكتانية وحريرية والأواني الخزفية البراقة والملونة والعطور... ونتيجة للازدهار الاقتصادي ابتنى البعض من سكان تيهرت سوقا خاصا بهم.

ويمكن القول أن الازدهار الاقتصادي الذي عرفته الدولة الرستمية كان من شأنه أن يغذي إلا من دار الزكاة وبيوت الأموال في الدولة وذلك باختلاف مصادرها، والمتمثلة في الإعانات الخارجية وما يتعلق بالتجارة والزراعة، وكان لدار الزكاة مورد واحد والمتمثل بدور الأغنياء الذين يؤدون زكاة أموالهم إلى بيت مال المسامين، وهذا وله أثر واضح على المجتمع الرستمي والتيهرتي خاصة في رفع مستوى المعيشة وكان للمال الدور الرئيسي في تكوين الدولة ورسم تاريخها، بالإضافة إلى النشاط الزراعي والتجاري حيث شيدت في عصر الدولة القصور وكثر بها العبيد والغنم وتحسنت أحوال الفقراء والمستضعفين فكان أهلها يسكنون الديار الواسعة الجميلة والصحية فحياتهم استقلالية كريمة، بالإضافة إلى هذا لدين الدولة الرستمية وديموقراطيتها وعدلها تعتني حتى بعبيدها وخدمها فتعلمهم دينهم وكل ما يثقفهم وكل ما يجعلهم سعداء وصالجين.

فالحسبة من أهم الأدوات التي تعتمد عليها الدولة الرستمية لتنظيم وضبط الحياة الاجتماعية وحمايتها من المظاهر الغير طبيعية خاصة ما تعلق منها بالمعاملات وما يتصل بها من علاقات...

كل هذا أدى إلى وصول العاصمة تيهرت إلى عظمة ضاهت حواضر الدول الإسلامية كما أدى إلى الرخاء في جميع أرجاءها، فقصدها المسلمون من الشرق والغرب لتنعم بخيرها والاستضلال بعدل أئمتها.

الملاحق

الملحق: رقم1.[1]

[1]– موريس لومبار: المرجع السابق، ص 323.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش.
- صحيح مسلم.

المصادر المكتوبة:

1-ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح: محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، د ط، 1967م، د ج.

2-ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407، ج1.

3-إبن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر إبراهيم بحاز: دار الغرب الإسلامي، بيروت، د ط، 1986م، د ج.

4-ابن حوقل أبي القاسم النصبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د ط، 1992م، د ج.

5-ابن خلدون محمد بن عبد الرحمان: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1961م، ج6.

6-إبن خلكان شمس الدين أحمد: وفيات الأعيان، الدار المصرية، القاهرة، د ط، د س، د ج.

7-ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج، س كولان ليفي بروفسنال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ج1.

8-أبو إسحاق الكوفي الإصطخري: المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، د ط، 1927، د ج.

9-أبو الربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، د د، د م، د ط، د س، د ج.

10- أبو بكر زكرياء يحي بن أبي بكر، تح: إسماعيل العربي: سير الأئمة وأخبارهم، المكتبة الوطنية، الجزائر، د ط، 1979، د ج.

11- الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: د ن، كيدن، د ط، د س. د ج.

12- البغدادي أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد: تح: محمد عثمان لخشت: مكتبة ابن سيناء للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د س، د ج.

13- البكري أبو عبيدة: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار ديسلان للنشر، الجزائر، د ط، 1857م، د ج.

14- حسين بن محمد الوزان الذباني: وصف إفريقيا، المملكة العربية السعودية، الرياض، د ط، 1399، د ج.

15- الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خير الأقطار، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1975م، د ج.

16- الدرجيني أبي العباس: طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي: مطبعة البعث، الجزائر، د ط، 1974م، د ج.

17- الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد: السير، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، د م، ط1، 2011م، د ج.

18- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، د م، ط2، 1906، د ج.

19- الشهرستاني أبي الفتح محمد بن أبي بكر أحمد: الملل والنحل، تح: محمد بن عبد الله الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، د ط، 2005م، د ج.

20- فيج جي دي: تاريخ غرب إفريقية، تر: يوسف نصر، د ن، مصر، ط1، 1982، د ج.

21- القضاعي: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، د ن، القاهرة، ط1، 1963م، ج1.

22- محمد الهادي جارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الاسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د م، د ط، د سنة، د ج.

23- الونشريسي كمال السيد: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي من خلال توازن وفتاوى المعيار المغرب للونشريسي، مكتبة الإسكندرية، د ط، 1996، د ج.

24- ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الرومي البغدادي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، م1، د ط، د س، د ج.

25- اليعقوبي: معجم البلدان، مطبعة ليدن، د م، د ط، د س، د ج.

المراجع:

1-إبراهيم بن بكير بحاز: الدولة الرستمية من 160هـ - 909م، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، جمعية التراث، القرارة، ط1، 1985م، د ج.

2-أحمد إلياس حسين: الإباضية في المغرب العربي، شبكة الدرة الإسلامية، د م، د ط، د س، د ج.

3-أحمد شلبي: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1963م، د ج.

4-إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، د ج.

5-أمين واصف بك: معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د ط، د س، د ج.

6-بكير بن سعيد أعوشت: دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مكتبة وهبة، القاهرة، د ط، 1988م، د ج.

7-بكير بن سعيد أعوشت: وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا، اجتماعيا، تاريخيا، المطبعة العربية، د م، د ط، 1991م، د ج.

8-بوزياني الدراجي: دور الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، 2007م، د ج.

9-بيير كوبرلي: مدخل لدراسة الإباضية وعقيدتها، تر: عمار جلاصي، منشورات مؤسسة توالت الثقافية، د م، د ط، د س، د ج.

10- تادايوش ليفيتسكي: دراسات شمال إفريقيا. د د، د م، د ط، د س، ج2.

11- جودت عبد الكريم يوسف: الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين 3- 4هـ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د س، د ج.

12- جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م، د ج.

13- جورج مارسية: بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1991.

14- حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، د م، ط1، 1963م، د ج.

15- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة، القاهرة، د ط، 2004م، د ج.

16- روبن هاليت: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: هادي بولغمة، منشورات جامعة قارينسوا، بنغازي، د ط، 1988، د ج.

17- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب (تاريخ دول الأمازيغية والرستمية وبني مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين)، دار المعارف، الكويت، د ط، د س، د ج.

18- صالح معيوف مفتاح: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن الثاني هجري إلى أواخر القرن الثالث هجري، مؤسسة تاولت الثقافية، د م، د ط، 2006، د ج.

19- صبحي الصالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1385هـ/1965م، د ج.

20- عبد الرحمان عثمان حجازي: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي من القرن الأول حتى القرن العاشر هجري 95هـ/1520م، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001م، د ج.

21- عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط، د س، د ج.

22- عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر، القاهرة، ط2، 1999م، د ج.

23- عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1996م، د ج.

24- عبد القادر موهوبي السايحي الإدريسي الحسني: ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ وميزاب والطيبات والملية والحجيرة، د ط، دار البصائر، الجزائر، 2011م.

25- عبد الكريم غلاب: قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2005م، ج1.

26- عثمان الكعاك: موجز التاريخ العام للجزائر بين العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، دم، د ط، د س، د ج.

27- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة للشرق، القاهرة، د ط، د س، د ج.

28- علي يحي معمر: الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، المطبعة العربية، غرداية، د ط، 1985م، د ج.

29- علي يحي معمر: الإباضية في الفرق الإسلامية، وزارة التراث القومي والثقافي، عمان، د ط، د س، د ج.

30- علي يحي معمر: الإباضية في ليبيا، الإباضية في موكب التاريخ، د م، د ط، د س، د ج.

31- عمار بوحوش: تاريخ الجزائر منذ البداية لغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.

32- عمار عمورة ونبيل دادودة: الجزائر بوابة التاريخ (الجزائر عامة من ما قبل التاريخ إلى غاية 1962)، دار المعرفة، الجزائر، د ط، دس، ج1.

33- عوض خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، وزارة التراث القومي والثقافة، الأردن، ط 3، 1994م، د ج.

34- فرحات الجعبيري: دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية، دار جوني للنشر، تونس، د ط، 1989م، د ج.

35- كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الاسلامي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د ط، 1996، د ج.

36- مارمول كربخال: إفريقيا، دار المعرفة، الرباط، د ط، 1984، د ج.

37- مجموعة من المؤلفين: معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، ط1، 2008م، ج2.

38- محمد بن عمير: دور زناتة في الحركة المذهبية في المغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م، د ج.

39- محمد بن موسى بابا عمي وإبراهيم بكير بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول هجري إلى العصر الحاضر، مرا: محمد صالح ناصر، جمعية التراث، الجزائر، د ط، 2008، ج2.

40- محمد حسين العيدروس: المغرب في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، د م، ط1، 2009م، د ج.

41- محمد رينجر ويحي بوعزيز وآخرون: تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن 19، المنظمة العربية للتربية، بغداد، د ط، د ج.

42- محمد صالح حويتة: التوات والأزواد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، د ط، 2007م، ج1.

43- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة توالت الثقافية، د م، د ط، د س، د ج.

44- محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ/199هـ، دار القلم، الكويت، ط3، 1987م، د ج.

45- محمود إسماعيل عبد الرازق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، دار الثقافة، المغرب، ط2، 1985م.

46- محمود إسماعيل: الأغالبة سياستهم الخارجية (184- 296هـ)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د م، ط 2، 2000م، د ج.

47- محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريطانيا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط، 2004م، د ج.

48- مسعود مزهودي: جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، مكتبة الظامري، عمان، د ط، 2010م، د ج.

49- مسعود مزهودي: جبل نفوسة منذ انتشار الإسلام حتى هجرة بني هلال لبلاد المغرب 442هـ/1053م، مؤسسة توالت الثقافية، د م، د ط، 2003م، د ج.

50- موريس لومبار: تح: إسماعيل العربي: الإسلام في مجده الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1975، د ج.

51- موسى لقبال: المغرب الإسلامي منذ بناء المعسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، د ج.

52- مؤلف مجهول: تح: زغلول: الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، المغرب الاقصى، د ط، 1952، د ج.

53- الميلي المبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ط، 2007م، ج2.

54- نهلة شهاب أحمد: تاريخ المغرب العربي، د ن، عمان، ط1، 2010م، د ج.

55- يحي بوعزيز: تاريخ إفريقية الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر، د ط، 2001، د ج.

56- يحي بوعزيز: مح تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1999، د ج.

مذكرات ورسائل ماجستير:

1-أحمد ذكار: حضارة ورجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي (1000-1301هـ) (1591- 1983م)، (أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير للتاريخ الحديث والمعاصر)، 1431هـ/ 2010م.

2-عمار غرايسة: المدينة الدولة في المغرب الأوسط، إرجلان أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في حضارة المغرب الأوسط في المغرب الإسلامي، غير منشورة، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، 2008م.

3-جميلة بن موسى: تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي (9- 11) (أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي)، جامعة الجزائر،2001م.

4-إلياس بن عمر حاج عيسى: ورجلان دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (4- 10هـ/ 10- 16م)، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، 1431هـ/2010م، الجزائر، 2009م.

5-معاذ عمراني: أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19 و20م، دراسة اجتماعية، (رسالة لنيل الماجستير)، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر، م

المجلات:

1-إحسان عباس: المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، مجلة الأصالة (الجزائر)، العدد45، 1985.

2-إدريس صالح الحرير: العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء الكبرى في نشر الإسلام هناك، مجلة البحوث الإسلامية، العدد1، 1983.

3-اسماعيل سامعي: الحركة الاقتصادية في المغرب الاوسط من خلال صورة الأرض لابن حوقل، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، دورية أكاديمية متخصصة محكمة تعنى بالدراسات الانسانية والاسلامية، 1427هـ، 2006م، العدد20.

4-قدور وهراني: جوانب من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لمدينة تيهرت من خلال ابن الصغير المالكي (مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث)، جامعة وهران، الجزائر، المجلد5، العدد20، 1431هـ/2010م.

5-لبديري بلخير: العلاقات السياسية بين الدولة الرستمية ودول المغرب، سيدي بلعباس، الجزائر، العدد5، 2010.

6-مولاي بلحميسي: مدينة ورقلة في رحلة العياشي، مجلة الأصالة، العدد41.

7-ناصر الدين سعيدوني: ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، مجلة الأصالة، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد41، 1977.

فهرس
الموضوعات

مقدمة..... ب- هـ.

الفصل التمهيدي: المذهب الإباضي..... 6- 14.

الفصل الأول: نشأة وتطور الدولة الرستمية..... 15- 37.

بناء العاصمة تيهرت..... 16- 18.

مؤسس الدولة الرستمية: عبد الرحمان بن رستم..... 18- 21.

أئمة الدولة الرستمية: ..... 22- 28.

أ- عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم..... 22- 24.

ب-أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم..... 24- 26.

ت-أبو بكر أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم..... 26- 28.

جغرافية الدولة الرستمية..... 29- 32.

العلاقات الخارجية للدولة الرستمية..... 32- 36.

أ- علاقة الدولة الرستمية بالأندلس..... 32- 33.

ب-علاقة الدولة الرستمية بسجلماسة..... 33- 34.

ت-علاقة الدولة الرستمية بالأغالبة..... 35- 36.

سقوط الدولة الرستمية..... 36- 37.

الفصل الثاني: الدراسة الاقتصادية..... 38- 94.

أولا: الزراعة والرعي: ..... 39- 42.

أ- الزراعة..... 39- 41.

ب-الرعي..... 41- 42.

ثانيا: الصناعة..... 43- 47.

ثالثا: التجارة: ..... 48- 78.

1) الداخلية..... 48- 54.

2) الخارجية..... 54- 59.

3) الصادرات والواردات..... 59- 63.

4) التجارة مع السودان الغربي..... 63- 78.

رابعا: الموارد المالية: (بيوت الأموال ودار الزكاة) ..... 79- 83.

أ- بيت المال موارده ونفقاته..... 81- 82.

ب-دار الزكاة والموارد والنفقات..... 82- 83.

خامسا: أثر الاقتصاد على الوضع الاجتماعي..... 84- 94.

أ- الحسبة..... ..... 84- 89.

ب-المستوى المعيشي..... 89- 94.

الخاتمة..... 95- 98.

الملاحق..... 99- 100.

قائمة المصادر والمراجع..... 101- 111.

فهرس الموضوعات..... 112- 114.